Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تراب الميرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

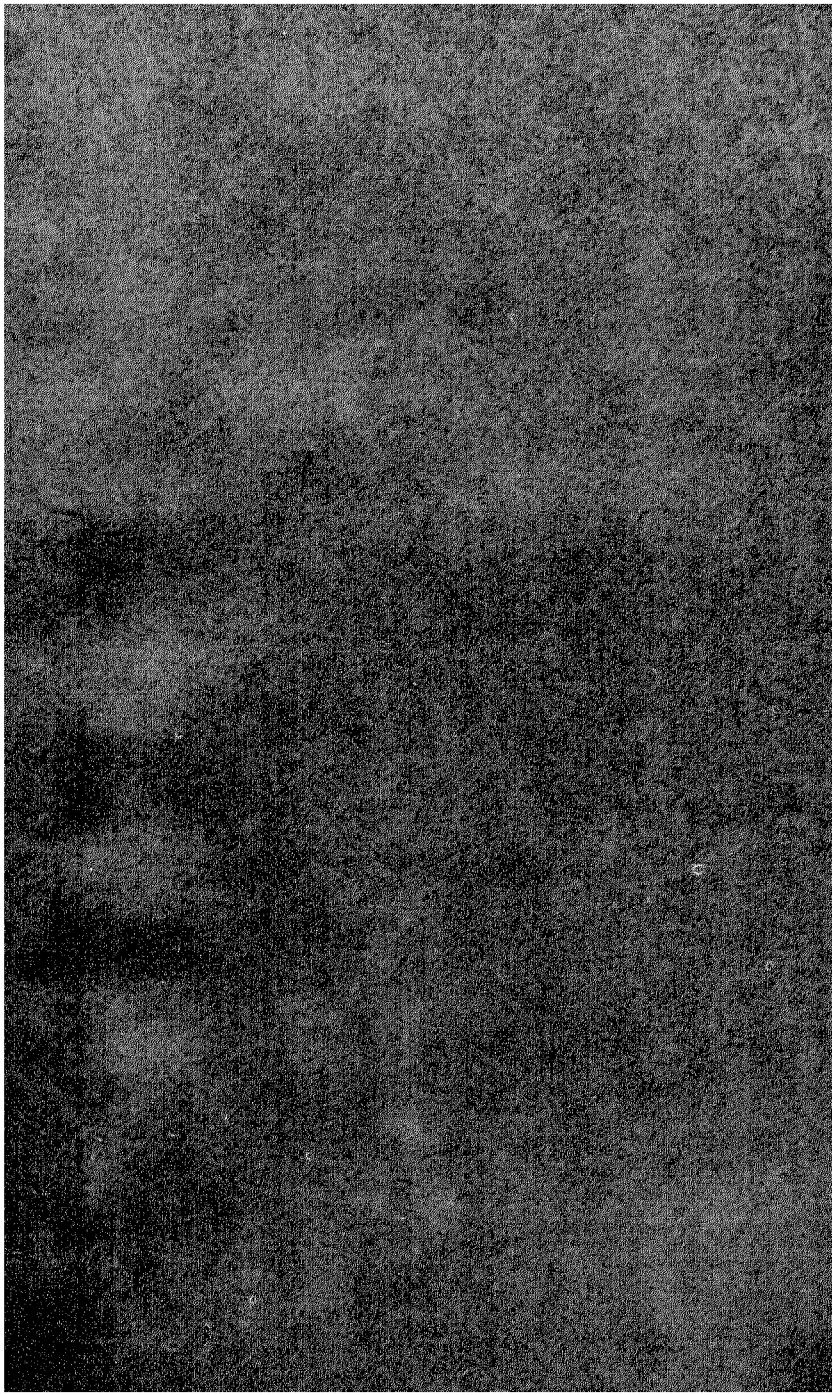

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مؤلفات يحيى حقي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تراب الميرى

أشرف على هذه الطبعة : فؤاد دوارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحيى حقي

تراب الميري

المقالات الأدبية ٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاخـراج الفنى

انعـام صـالح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دوران قمر صناعى

منذ تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ (أى منذ قرابة نصف قرن) ، وبعد أن دفعت مصر باسراف يبلغ حد السفه المتطلب للحجر تعويضات للموظفين الأجانب (من أول المستشار الى الكونستابل) ، لتخلو مقاعدهم لأبناء الوطن وأنا أقرأ فى الصحف أخبار محاولات لاصلاح الأداة الحكومية ، وهى مسألة ذات شقين ، الأول : القضاء على عيوب الروتين ، والثانى : القضاء على تضخم الوظائف . ومن وراء هذه الجبهة تقبع مسألة أهم وأخطر وهى ربط المرتبات بمستوى المعيشة ، ولهذه المسائل ذرية كثيرة ــ كسبان القمل ــ منها مشكلة رقابة الموظفين ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشكلة مراجعة حسابات الحكومة ، مشكلة التقاضى بين الموظف والحكومة ، مشكلة الترقية بالأقدمية أو الكفاءة ، مشكلة الكادر الخاص .. وغير ذلك كثير .

استقدمنا خبراء أجانب فقالوا هذه عقدة لا يحلها الا من عقدها ، واجتمعت لجان قدمت تقارير وضعت فى الأدراج .

محاولات هى بمثابة نواة لتسند زيرا لا يمكن أن يستقر الا على دعائم ثابتة . فقد كان واضحا أن عوامل الافساد أضخم من الجهود المبذولة للاصلاح ، بدأت عوامل الافساد منذ اليوم الأول الذى تمصرت فيه الوظائف ، فقد كانت الشكوى ترتفع من الغلو فى مرتبات الموظفين الأجانب وانتفاعهم بمزايا عديدة ، كالسكن المجانى ، والاجازة خارج القطر ثلاثة أشهر ونصف فى كل عام ، وكان المفروض أن يختفى هذا الغلو وهذه الامتيازات فاذا بالموظفين المصريين قد جلسوا فى مقاعد الموظفين الأجانب بنفس المرتبات ، بنفس المزايا .

ثم جاء تعاقب الأحزاب على الحكم وحشدهم لأنصارهم فى وظائف الحكومة ، وأصيبت مصر فى ذلك العهد بعدد محترم من النوابغ الذين تفتقت أذهانهم عن درر لم تكن الا بمثابة قنابل زمنية وضعوها تحت شباك الحكومة ، مثل فكرة تسعير الشهادات لا الوظائف فرأينا من يشتغل تايبست ويقبض مرتب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دكتـــور فى الآداب ، وفـــكرة من هم فى الذكر ومن هـــم فى النسيان •

ثم تلاحقت بعد ذلك عوامل الانفجار التعليمى والسكانى وارتفاع الأسعار ، وانتفاع المواطنين بأمومة الدولة لهم فزاد ابتعاد نظـــام الوظائف عن الصـــورة التى ينبغى أن تكون له ليصبح جهازا كفؤا قادرا على خدمة الوطن فى هـــذه المرحلة الحاسمة من حياته ، واضح وضوح الشمس أن عدد الموظفين متضخم ، ويتضخم سنة بعد أخرى ، وأن هـــذا التضخم يعرقل العمل ، اننى أدخل بعض الوزارات والادارات فأخوض فى لحم بشرى متكدس عاطل ، وان هـــذا التضخم يهدم أية نسبة معقولة بين تكاليف العمـــل الانشائى وتكاليف القائمـــين به ، فلا تستبعد أن تجد لادارة من الادارات ميزانية يذهب ثلاثة أرباعها أو أربعة أخماسها فى مرتبات الموظفين • يقال يصرف مليونا من الجنيهات لانشاء دكان كل البضاعة فيه لا تزيد عن ٥٠ ألف جنيه •

أعوذ بالله أن أكون من سلالة النبغاء الذين تحدثت عنهم من قبل ، ولكن هذه المسائل كلها تشغلنى لأنى أريد أن أغمض عينى وأفتحها فأرى بلدى قد تخلص من كل العراقيل ووثب الى الأمام ، فأسمح لنفسى أن افضفض ببعض الأفكار ولا أقول ببعض المقترحـــات لأنى واثق أن كلامى لن تكون له نتيجـــة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عملية • وأصدر عن الاعتقاد أن لب المشـــكلة هو أننا ندفن كالنعامة رأسنا فى الرمل ولا نواجه هـــذه المشاكل مواجهـــة صريحة • واضح ــ فلماذا لا نرى ذلك ــ أن مرتبات الوظائف هى فى جانب كبير منها اعتمادات مالية كان ينبغى أن تدرج فى الميزانية بند الضمان الاجتماعى ، أى التأمين ضـــد البطالة • هذا أول شىء ينبغى أن نفعله بشجاعة ، وليكن فعلنا هـــذا هو الخطوة الأولى لدراســـة البطـــالة فى مصر ــ بلا خوف ، فلا داعى ولا منطق أن تتحمل آثارها ونحن نجهل مصـــادرها ، والاعتراف بالتأمين ضد البطالة بالنسبة للوظائف سيتبعه مكاسب كثيرة ، أولا تخفيض المدفوعات فان مبلغ التأمين ضد البطـــالة لا يرتفع أبدا الى حد مرتب الوظيفـــة • الفرق هو حســـاب الانتقالات والمظهرية لا ضير أن نجعل التأمين نصف المرتب ، ثم ان التأمين ثابت فلا يطلب صاحبه من الدولة علاوة ولا ترقية، لا مكتبـــا ولا ورقا ولا تليفونا ولا ساعيـــا • بذلك ننفى عن الوظائف تضخمها الذى يعرقل العمل • ومع اعترافى بمساواة المرأة للرجل وحقها فى العمل فانى أستسمحها اذا جرب عليها وقلت ان هـــذا المبدأ الذى أنادى به أحق بالتطبيق عليهـــا قبل الرجل • لنفعل هذا مع خريجات هذا العام • بل مع كل الشاغلات لوظائف كتابية أو ادارية تزيد عن حاجة العمل • كخطوة أولى •

وبقية الأفكار هى :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ــ تأجيل حل مشاكل الروتين الى أن نمضى قدما فى تنظيم كادرات الوظائف • فلا معنى لوضع لائحة لسوق لا نعرف فيه من هب ومن دب ، من شدة الزحام •

٢ ــ اللجـان المشكلة لبحث مسائل الوظائف والروتين ينبغى أن لا تقتصر على كبار أساتذة الجامعات أو كبار الموظفين، ينبغى تطعيمها بعدد ولو قليل من عتاة صغار الموظفين ــ ولو كانوا محـالين على المعاش ــ الذين عركتهم هـذه المشـاكل وعركوها •

٣ ــ الكف عن انتظار معجزة بالوصول الى حل شامل شاف ، حبذا لو بدأنا بمعالجة الجزئيات الصغيرة كلما ظهرت ، مثلا : فى ادارات كثيرة •

٤ ــ كادرات للعمال • عامل بمرتب شهرى • عامل بمرتب يومى مع الاجازة ، عامل بمرتب يومى بدون اجازة ، عـامل بالقطعة الخ •• الخ •• كل مدير ادارة ينبغى أن تعطى له سلطة لوضع كادر موحد لهؤلاء الموظفين الذين يقومون جميعا بعمل واحد • وهكذا •

وأنا الآن اذا وقعت عينى فى الصحيفة على أخبار اللجان المنعقدة لحل هـذه المشـاكل تغفو نظرتى لتوهـا ولا تقرأ شيئا ، لأنى فى الحقيقة زهقت من دوران هذه الأخبار دوران قمر صناعى حول الأرض ، ميقات وتكرار ، لا يتغيران •

(« التعاون » ، العدد ٢٤٣ ، ١٩٦٧/١٠/١٥ ، ص ١٠) •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عقدة العقد

لا أعرف عملا فنيا رائعا أخرجه عقل انسان مشوش مثل الجهـاز الادارى للحـكومة عندنا . لو جمعت أئمـة المكر والخبث والدهاء من خبراء البرجلة والتناقض والتعقيد والابهام والغموض « وحاورينى يا طيطـا » وطلبت منهم أن يدخنوا الجوزة حشيش كل صـباح على الريق وأن يطلقوا لتفانينهم العنان وأن يعملوا بصبر وتأن وأسكنتهم تكية تحتهـا ماخور لمـا قدموا لك بعد عمر طويل الا مشروعا هيهـات أن يفوق جهازنا فى البراعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد وضع بعض المخلصين للثورة أيديهم على قلوبهم حين رأوا أن مهمة تنفيذ القوانين الاشتراكية وأساسها التأميم وقيام الحكومة بالانتاج والتوزيع .. قد أسندت أمانتها لهذا الجهاز العتيق .

لا يتسع لى المجال هنا والا كنت حدثتك (وربما فعلت يوما)عن تاريخ هذه المشكلة واكتفى بأن أوجزها لك فى المراحل التاليـة :

١ ــ عهد الاحتلال البريطانى : مصر بقرة تحلبها ولكن ينبغى أن تتركها واقفة على كوارعها توهم الناظر أنها حية وأن ورمها سمنة لا مرض النفخة الكذابة . نحن فى حاجة الى موظف « افندى » مقفول العلم والشخصية والابتكار ، اذا كان لا يقول لرئيسه الا بلهجة العبد الذليل « حاضر يا افندم » فانه مؤمن بأنه من طبقة ممتازة هى بالنسبة للشعب بمثابة السيد المتكبر المتعالى لا الخادم المخلص الأمين .

وينبغى أن يكون انعدام الشخصية والابتكار هو دستور المدارس القليلة التى تتباهى ببنائها . شعار ذلك العهد « ان فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه » .

٢ ــ عهد الاستقلال الزائف بعد تتويج ٢٨ فبراير : كنا نثور ضد الامتيازات الكبيرة التى يتمتع بها الموظفون الانجليز والأجانب من كل ملة فلما طردناهم بعد دفع تعويضـات خيالية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان ينبغى الحجر فورا على السفهاء الذين دفعوها ، وحل محلهم مصريون اذا بهم يطالبون بهذه الامتيازات وأكثر منها فينالون ما يطلبون بل وأكثر مما يطلبون ، والا فما معنى الاستقلال يا أخى ؟ شعار ذلك العهد « الخواجات أحسن منا فى ايه » ؟ ولاشىء يصد عن الاتقان والتقدم مثل الغرور •

٣ ــ من آثار هذا العهد الذى بدأ فيه التطاحن الحزبى أن كثرت الشفاعات والوساطات والمحسوبية وتفاقمت البلوى بتعاقب الوزارات بعد عمر قصير ، وزادت الهوة بين الموظف والشعب ، والهوة بين حاجة العمل وعدد الموظفين • وزيادة عدد الموظفين عن الحاجة أشد ضررا بالعمل من قلته •

وكان شعار هذا العهد على هيئة محاورة •

ــ ما شهادة هذا الموظف ؟

ــ ان لديه أكبر شهادة هى : ج•ب•ف •

ــ لم أسمع قط بشهادة بهذا الاسم •

ــ معناها جوزبنت فلان باشا •

٤ ــ نشطت مطبعة قوانين الموظفين ولوائحهم وتداخلت وتشابكت بحيث أصبح مدير المستخدمين الذكى أهم من الوزير ، وارتفعت كلمة « المنشور » فى ذلك العهد الى مقام الألوهية •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ــ ثم جاءت الضائقة المالية : وعجزت الحكومة حينئذ عن علاجها فأحبت أن تتفادى الانتقاد بفتح باب التوظف للعاطلين ، جيوشهم الجرارة بدأت تخرج من المدارس بلا حساب .. شعار هذا العهد على هيئة محاورة أيضا :

ــ شوفوا له شغله عندكم .

ــ زى ايه ؟

ــ أى حاجة .

٦ ــ من آثار هذه الفترة (وهى نتيجة حتمية) الميل الى تخفيض المرتبات وكان أعجب العجب أن الحكومة حينئذ وهى تعلم حق العلم أن هذه المرتبات غير مجزية أخذت تضرب كفا بكف شاكية من انتشار الرشوة والاختلاس .

النتيجة : وضع لوائح أساسها « امسك حرامى » الدفتر الواحد عليه ستة توقيعات . والغريب أنه كلما تشددت اللائحة زاد الاختلاس والرشوة .

٧ ــ اتباع الحكومة زمنا لسياسة غير مفهومة : وهى تعلم حق العلم أن المشاريع الواردة فى الميزانية التى صدرت متأخرة عن موعدها بشهور لا يمكن تنفيذها خلال السنة ومع ذلك تضع لستر موقفها هذا القانون السخيف (ما لم يصرف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا يرحل للسنة التالية) « شغل الحكومة عاوز كده » • لم يلغ هذا القانون السخيف الا أخيرا والحمد لله •

٨ ــ زاد تركيز العمل فى العاصمة ــ كان نقل فراش من مكتب بكتاب فى أسوان الى دشنا يحتاج الى أمر يصدر من الوزارة بالقاهرة •

شعار هذا العهد :

ــ ما تعرفشى واحد فى الوزارة ؟

ــ شغلتك عند مين ؟

ــ مش عارف ؟

ــ اسأل يدلوك •

٩ ــ عجز تام عن مجاراة الابتكارات الحديثة كأجهزة الاتصال الداخلى والاختزال وآلات النسخ السريعة ووسائل وضع الأرشيف وحفظه وترتيبه الخ •• الخ •

شعار هذا العهد : « المهم أولا اننا نلاقى الورق راح فين » •

١٠ ــ وفى وسط هذه البلبلة تضاءل عنصر الخبراء وضاعوا فى الزحمة ولم نعرف كيف ننشئهم ؟ ولا أين نجدهم ؟ ولا كيف ننتفع بهم ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شعار هذا العهد : « العائد من بعثة التخصص فى الكيمياء الصناعية يشتغل مفتشا للأغذية ، لم نجد له وظيفة أخرى ، هو زعلان ؟ مش اشتغل والسلام » .

من الانصاف أن أعترف بأن هذه العهود كلها لم تخل مع ذلك من موظفين أكفاء خدموا أمتهم باخلاص وأمانة ولكنهم قطرة فى بحر ، وكانوا فى أغلب الأمر غير سعداء ، نرى مسحة من الحزن على وجوههم . والحزن داء يفل العزم والارادة . اننى مشغول بالحاضر والمستقبل ولا أحب أن أغرق فى الماضى ، فليذهب الى حال سبيله ، واياك أن تظن أننى متشائم لا أقدم لك الا صورة قاتمة ، أنت لا تعرف مقدار فرحتى أننا استطعنا بفضل الثورة وبالرغم من هذا البلاء كله أن نحقق فى فترة قصيرة ما يلى :

(أ) تأميم البنوك وشركات التأمين ، وهى عصب الاقتصاد القومى ، انه فى نظرى لا يقل خطرا عن تأميم قناة السويس .

(ب) تحويل تجارة الصادر والوارد (أى اليد الموضوعة على الرقبة) الى أيد مصرية . يكفى أن محصول القطن كان الى عهد قريب لا يمر منذ أن يخرج من يد الفلاح الى أن يصدر الا بأيد أجنبية ، حتى السفينة أجنبية ، أما الآن فلا يمر (الا بأياد مصرية) حتى السفينة فى أغلب الأحيان مصرية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(جـ) كهربة خزان أسوان ، وانشاء الصناعات الثقيلة ، قد تكون خطواتها الأولى وئيدة ولكن هـذا شأن كل نبت جديد ، وعن قريب ان شاء الله نملك السد العالى •

ولكن كل هذه النواحى الجميلة ينبغى أن لا تنسينا أن عقدة العقد عندنا فى عهد الثورة الاشـتراكية هى الجهـاز الحكومى الذى تضاعفت مسئولياته ألف مرة ، ولذلك فانه هو شغلى الشاغل هـذه الأيام ، أناجى نفسى بالليل والنهـار وأقول أتمنى أن أغمض عينى وأفتحها فأجد تحقيق ما يلى :

١ ـ ميزانية ليست مبنية على الدرجات المـالية ، عامل الارتقاء اليها هو الزمن من وحده ، بل مبنية على أنواع العمل مع وصفه وتحديده • وليست المشكلة عويصة فيما أظن ، فلدينا لحسن الحظ أكثر من كادر واحـد يتحقق فيه الشرط الذى أطلبه ، مثل كادر رجال القضاء والسلك الدبلوماسى والمهندسين والأطباء وضباط البوليس • ولكن المشكلة باقية فى الجهـاز المـالى والادارى ـ وأنت تعلم خطره ـ وفى عدد ضخم من الموظفـين أراهنـك بألف جنيـه اذا استطعت أن تصف لى عملهم • فأتمنى أن يكون ترتيب هؤلاء الموظفين لا بالدرجات المـالية بل بتحديد عمل الوظيفة ، مثلا : كاتب حسابات ـ كاتب حسابات أول ـ وكيل قسم حسابات ـ رئيس قسـم حسابات ـ وكيل ادارة الحسابات ـ رئيس ادارة حسابات ••

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا • ويطبق هذا أيضا على موظفى المخازن والأرشيف • هذه هى الوسيلة الوحيـدة التى نستطيع بها أن نصـل الى تحديد حاجة العمل فى كل وزارة الى عدد من الموظفين لا يزيد عليها أو ينقص دونها •

٢ ــ الفصـل بين مرتب الوظيفـة والمرتب الذى يقبله الموظف ، ليختفى بذلك تسعير الشهادات وضرورة الترقيـة بفعل الزمن وحـده ، فلكل وظيفة مرتبهـا الثابت ، يدفع لمن يشغلها ، ويضـاف لهذا المرتب علاوة تزيد أو تنقص حسب الحالة الاجتماعية للموظف ، وأتمنى أن تقاس هـذه العلاوة بمقياس واقعى عادل ، (فتختلف فى منطقة عن منطقة كما يحدث فى فرنسا) ولا خوف من هذه العلاوة لأنها ستزول حين تعمم الخدمات والضمانات الاجتماعية كافة طبقات الشعب •

٣ ــ سأنادى الى أن يجف حلقى بضرورة تركيز الاهتمام على تقوية دعائم الحكم المحلى بأن يستكمل كيانه واستقلاله فى أقرب وقت • ان نظام الحكم المحلى هو خشبة النجاة •

من سوء الحظ أن هذا النظام لا يجد له تاريخا أو تقاليد يسـتند اليها ، ولذلك فلابد أن يعانى متاعب الولادة وأنت تعلم أن الانجليز أرادوا محاربة الحكم النيابى بانشاء مجالس المديريات كما أرادوا محاربة الجامعة بانشاء الكتاتيب ، ولذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انزلقت الأحزاب فى فرحتها بالتمتع بحكم برلمانى زائف الى اهمال مجالس المديريات بل الى معاداتها لا لشىء الا لأنها ولدت فى أحضان الانجليز ، سياسة خرقاء ، اذ كان فى امكانهم بث الحياة الوطنية السليمة فى هذه المجالس • وكانت النتيجة أن زادت العناية بالعاصمة وقل الاهتمام بالريف وأصبحنا نرثى لحالنا اذا ذهبنا الى طنطا (وهى عاصمة وجه بحرى) أو الى أسيوط (وهى عاصمة وجه قبلى) فوجدناهما رغم القصور الشامخة غارقتين فى غياهب العصور المظلمة •

٤ ــ أتمنى أن ينشأ بنك يسمى (البنك البلدى) وظيفته اقراض الحكومات المحلية لاعانتها على تنفيذ مشروعاتها العمرانية من ماء وانارة وطرق مواصلات ومساكن ودور تعليم ومجار ويكون عمل وزارة البلديات اعداد نماذج موحدة بمواصفات دقيقة لأحدث صور محطات الماء أو النور لقرية أو لمدينة وهكذا •

لقد وجدت فى تركيا أثناء عملى بسفارتنا بأنقرة مثل هذا البنك صيته أكبر من حقيقته (الحال من بعضه وكلنا فى الهم شرق) ومع ذلك أرسلت لوزارة الخارجية تقريرا مفصلا عن عمله واختصاصاته • أظن لم يقرأه أحد •

٥ ــ أتمنى بعد أن تركز الاستيراد فى يد الحكومة أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تنقطع شكوى الوزارات من أنها لا تحصل على حاجتها من المواد المستوردة فى أوقاتها المناسبة ، ولست أدرى ما هو الحادث الآن ولكنى أحلم بجهاز يقظ واع يجمع بين المشرفين على الاستيراد وممثلى الوزارة لا لرسم خطة بل لتنفيذها ، وأرجو أن تكون مسئولية هذا العمل معلقة برقبة شخص حتى نستطيع محاسبته •

ان الأبنية القديمة يتداعى بعضها لبعض ، المظلوم مع الظالم وكذلك الأبنية الجديدة يقيم بعضها بعضا ، من شد حيله مع من لم يشد ، ولذلك ينبغى أن نحارب فساد الجهاز الحكومى بوسيلتين : الأولى : من الداخل بأن نرش عليه أكبر قدر من (الكومن سنس) (وكأن اسم هذا المبيد الحشرى قد خلق خصيصا لهذا الجهاز) ، من الخارج بأن نطوقه حتى نخنقه بأكبر عدد ممكن من الأعمال الناجحة التى تتم رغم أنفه وبشرط أن نحيطها بالثقة والتشجيع فما أسهل الانتقاد والزراية والاستنقاص والسخرية على عجائز الفرح •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهتمامات رجل الشارع

الكلام عن قوى الشعب الكامنة التى يراد استنهاضها جميعا لمواجهة أخبث عدوان وقع على أمتنا لمواجهة تحديات العصر ، وهذه القوى تكبلها أو تبددها غوائل عديدة ينبغى فى نظرى أن تسلط عليها الأضواء بالحاح لكى تصرخ فى وجوهنا وتظل مستلفتة لاهتمامنا ، فلا مجال للاعتماد على هذه القوى الا بعد تأمين تحريرها أولا من هذه الغوائل ، وقد ضربت لك أمثلة عليها ، وأضيف اليها اليوم مثالا قد يكون الكلام عنه من قبيل اجترار البديهيات ، ولكن لا بأس ، فالغرض هو تسليط الأضواء باستمرار ، ثم ان لى هدفا آخر سيأتى بيانه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحديث هنا عن الأمراض ، وأظهرها الأمراض البدنية ، أفلا يقفز ذهنك الى البلهارسيا التى ظلت تغتال قوى الفلاح منذ أن بدأ ينتفع ببركات نظام الرى المستديم ، كأنه دفع من دمه وعافيته كل ربح عاد على البلد من زراعة القطن • من قبل — أيام رى الحياض — كان يشرب ماء نصفه طين ، زاد عليه — بعد الرى المستديم — نزوله للغسل فى ترعة ماؤها يعج بديدان لا تراها العين •

البلهارسيا لم تفتك بقوى الشعب فحسب ، بل اغتالت أيضا خزانة الدولة لأن الأموال الطائلة التى تصرف فى علاجها هى أشبه شىء بالنفخ فى قربة مقطوعة ، وربما ستكون للبلهارسيا هجمة جديدة حين يتحول ما تبقى فى الصعيد من رى الحيضان الى رى مستديم بعد وصول مياه السد العالى •

فاستئصال مرض البلهارسيا ينبغى أن يكون فى مقدمة الأهداف ان أريد فك قوى الشعب الكامنة من عقالها ، وقد قرأت أخيرا اعلانا تجاريا يبشرنا باكتشاف مطهر للقواقع تمت تجربته عندنا بنجاح فانكسرت بذلك سلسلة انتقال العدوى الى الانسان ، ولكن الظاهر أن علماء وزارة الصحة لا يريدون مباركة هذا المطهر الجديد الا بعد مزيد من التثبت . فلو صدق هذا الاعلان لكان له دوى كبير لا فى بلدنا وحده بل فى كافة الأقطار الموبوءة بالبلهارسيا •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هناك أمراض أخرى كانت تغتال قوى الشعب الكامنة كالانكلستوما والملاريا والسل ، وأضيف اليها الزهرى بسبب توارثه من جيل الى جيل وبسبب ما يحدثه من تشوهات بدنية وعصبية ، ولكن غوائل هذه الأمراض قد تراجعت والحمد لله كثيرا ، كما تراجعت مظاهر انتشار العاهات كالعمى والصمم والخرس ومظاهر التشوهات البدنية أيضا ، لابد أن أشهد أن عدد هذه التشوهات البدنية التى كنت أراها فى صباى تزيد بكثير عما أراه منها الآن فى شيخوختى .

والأمراض البدنية ظاهرة للعيان ، بقيت أمراض خفية ، قد لا تحظى لهذا السبب باهتمام كبير مع أنها أشد فتكا بقوى الشعب الكامنة وأعنى بها الأمراض العقلية والنفسية ، فاذا كانت الأمراض البدنية تبشر بالتراجع فان هذه الأمراض العقلية والنفسية تنذر بالتزايد ، ومما يزيد من مشكلتها أنها تحتاج الى علاج أطول ونفقة أكثر ، ان أسوأ المستشفيات فى العالم كله هى مستشفيات الأمراض العقلية ، بعضها لا يزيد عن مخزن تلقى فيه نفاية من البشر لتموت على مهل تحت تراب النسيان .

لست أدرى ما مبلغ انتفاع أطباء العقول والنفوس عندنا بأنبوبة الاختبار الجديدة التى ألقتها الهجرة بين أيديهم ، فالهجرة هى انتقال الفرد من بيئة مألوفة يستكين لها الى بيئة جديدة مليئة بالتحديات ، ويتمثل فى هذا الانتقال نقطة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانكسار التى تنفجر عندها أمراض العقول والنفوس الكامنة فى أشخاص لهم مظاهر الأصحاء وهم مرضى • فقد نكتشف من دراسة أحوال المهاجرين نسبة تفشى الأمراض العقلية والنفسية فى بلدنا •

هذا الكلام كله ــ أعترف ــ من قبيل البديهيات ولكنى أكتبه كمثال لاهتمامات رجل الشارع التى أرجو أن يكون لها مثيل من اهتمامات العلمـــاء فى معاملنا ، أى أخذ غوائل قوى الشعب الكامنة بنظرة شاملة تترابط فيها الجزئيات ولا تنفصل فليس الطلب من هؤلاء العلماء هو توفيقهم فى أبحاثهم فحسب بل ادراكهم أنهم لا يعملون عمل فئات منعزلة فى قطاعات منفصلة، بل انهم يعملون لمعالجـــة مشـــكلة واحدة : هى اطـــلاق قوى الشعب الكامنة ، حينئذ يكون نجاحهم لبلوغ أهدافهم المتعددة أيسر منالا ، ولكن لا ســـبيل الى ذلك الا اذا حنت قـــلوبهم وأسماعهم لمصر وهى تناشـــدهم أن يأخذوا بيدها ، وأن يطلقوا قواها الكامنة من عقولها •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصلحة العامـــة ...

يلعب فى عبى الفأر كلمـــا طلع انسان يطالب فى حمـــاس شديد بتخفيف بعض القيود أو تشديدها تحقيقا ـ حسب قوله ـ لمصلحة عامة . اذ علمتنى التجارب ـ مع الأسف ـ أن هـــذه الغيرة النبيلة على المصلحة العامة انمـــا تخفى تحتها طمعا دنيئا فى تحقيق مصلحة ذاتية ، هى مربط الفرس ، وسر الحماس .

انه رجـــل ذكى حويط ـ فى نظر أهـــل المكر الحقـــير لا الأسوياء ـ يريد أن يضرب عصفورين بحجر ، أن نصفق له باعتباره بطلا لا ينام الليل من فرط حرصه على مصلحة بلده ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يجشم نفسه مشاق التفكير العميق فى حل مشاكله ثم ينبرى لوجه الله وحده ليحامى للجميع ، للغلابة الذين لم يجدوا من يأخذ بيدهم سواه ، أو من يعبر عن ضمائرهم وينطق بلسانهم غيره ، والعصفور الثانى ــ وهو عنده أسمن الاثنين ــ أن ينحنى فى غمرة التصفيق والهتافات ــ وكأنما خلسة وفى غفلة من الرقباء ــ ليلتقط جائزته ويضعها فى جيبه ، لا يهمه بعد ذلك هل الخير الذى ناله قد عم الجميع ، أم بقى فيهم مظلومون •

هذا مسلك لا يصدر الا عن الجبن والنفاق . وتفضيل الالتواء على الاستقامة ، والحيلة الماكرة على الصراحة الشريفة • لابد أن أسأل نفسى : هل هو من جراء عهود الذل الطويلة قد أصبح خلة متأصلة فى طبعنا ؟ أقول هذا لأن هذا المسلك شائع فى مختلف المستويات •• قد أعذر ــ وأنا محتقر ــ هؤلاء الجهلة المحتاجين الذين يرسلون بلاغات الى النيابة والبوليس بامضاء « محب للحقيقة » ــ وليس هناك حقيقة يحبونها الا رغبتهم فى الايقاع بخصم ، وربما ظلما ، ولكن تأخذنى الحيرة ويفيض قلبى حين أجد أن هذا هو فى كثير من الأوقات مسلك بعض المثقفين المرتاحين ، حين تتوالى اقتراحاتهم التى لا يرد فيها اشارة الا للمصلحة العامة ، أو بكاء الا عليها •• وهم يهدفون فى الحقيقة الى تحقيق مصلحة ذاتية •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعود بالذاكرة الى برلمانات أيام زمان ـ وكنت شغوفا بقراءة محاضرها ـ كم كانت كثيرة هذه الأمثلة : نائب يحتكر المنبر لا أقل من ساعة وبصوت محترق واشارات عنيفة وحماس المصلحين المجردين عن الهوى يطالب ـ خدمة للمصلحة العامة ـ بضرورة تعديل أنظمة الامتحانات العتيقة الظالمة فى الجامعة واستحداث ملحق يدخله الراسبون ، حتى لا تضيع على هذه الزهور اليانعة سنة كاملة من عمرهم ، بسبب هفوة غير مقصودة ، أو مرض مفاجىء ، أو نسيان طارىء .. (تصفيق شديد من جميع المقاعد) ونواب المديرية التى جاء منها حضرة العضو المحترم يصفقون له أيضا ولكنهم يبتسمون فى مقاعدهم فى سرهم ، انهم يعلمون أن للخطيب المفوه ابنا سقط فى الامتحان ، ولولاه لما كان ما كان .

نائب آخر يبكى بحرقة على الرقعة الزراعية فى طول البلاد وعرضها ويطالب بوقف التوسع فى مد خطوط السكة الحديدية ، اكتفاء بتحسين الطرق الزراعية ، (تصفيق) ـ هذه المرة غير موصوف بأنه شديد ، نواب المديرية التى جاء منها حضرة العضو المحترم يبتسمون فى مقاعدهم فى سرهم ، انهم يعلمون أن الخط الحديدى الجديد فى المديرية سيأكل أرضا يملكها الخطيب المحترم ، المجرد عن الهوى .. وأنه لولا الأطيان لما كان ما كان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا ، وهكذا ...

والغريب أن المصلحة الذاتية المختفية تحت المطالبة بمصلحة عامة ينفضح سرها سريعا ، لأن لها رائحة ، تشمها الأنوف بسهولة ، من بين الجمرات الملتهبة سيتسلل زيق من الدخان الأسود ، يتعرج فى الهواء كخط الابرة على الورق فى عيادة الطبيب ، تكشف عن مكمن الداء ، واذا بسعى الماكر المحتال ينقلب عليه ، ان اقتراحه رغم التصفيق سيلقى به من فوره فى سلة المهملات ، لأنه حقير ، وليد الكذب والنفاق ، انه قد هدم نفسه بنفسه ، ولو أنه ملك شجاعته وآثر الصراحة وكلام الشريف للشرفاء ، فلربما بلغ غايته .

ولكن المصيبة أن بلاء هؤلاء الناس لا يقتصر عليهم ، بل انه يقيم للنفاق سوقا رائجة ، تعم بالعدوى ، انها تزرع الشكوك فى القلوب ، وتقطع الطريق على القلة التى عصمها الله من النفاق فأرادت أن تقول كلمة الحق ، خدمة للمصلحة العامة وحدها ، فحين لا يكون فى التداول الا عملة زائفة ، يكون من العسير على صاحب العملة الصحيحة أن يثبت للناس أنها صحيحة ، انظر الى أى حد تنقلب الأوضاع .. واذا لم تكن للكلمة كرامتها فهيهات أن تكون لها جدواها .

فأقول لمن يقرأ كلامى من العمال والفلاحين ، الصديق الذى من أجله وحده أكتب هذه الأسبوعيات ، أننى فى عهدنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحاضر أربأ بك أن تكون من أهل هـٰذا المسلك البغيض ، ان كانت لك مصلحة ذاتية تريد أن تدافع عنها فقل ذلك صراحة ولا تغلفها ضمن خطبة حماسية للدفاع عن مصلحة عامة ، لا خجل من الدفاع عن مصلحتك ، وانما الخجل كل الخجل من الكذب والنفاق ، ثم الحكم أنك بهذا النفاق انما تهدم نفسك بنفسك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هـــدية ...

هذه تجارب لى أقدمها هدية منى الى أعضاء مؤتمر الاتحاد الاشـــتراكى ممن لم يسبق لهم المساهمة فى مناقشات عامة ، فى مؤتمر أو ندوة أو لجنـــة ، عدد الحـــاضرين لا يهم ، فهـــذه الاجتماعات يسودها جو واحد ، أرجو أن يتقبلوا الهدية بابتسام لأننى لففتها لهم بابتسام ، ـــ ها أنذا فى مؤتمر سلف لى أن حضرته ، جالس فى مقعد لا هو فى الصف الأول ـــ فاننى أكرهه .. ولا فى الصف الأخير ، لئلا أضيع ، بل فى الوســـط ، وهو خير الأمور ولأننى أحب أن يرانى رئيس الجلسة بوضوح اذا رفعت يدى طالبا الكلام ، أبحث عن صـــديق حميم أجاوره لأدردش معه عند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملل ــ وما أكثره ــ وحبذا لو كان بجانبى باب أزوغ منه فى ستر عند اللزوم ، بدأت الجلسة وتوالى الخطباء وأنا أتتبع كلامهم بانتباه يتراوح بين اليقظة وحافة النعاس .

التجربة الأولى ، تلمع فجأة فى ذهنى فكرة أراها بديعة جدا ، سليمة المنطق جدا ، هيهات أن يتزعزع اعتقادى بأننى اذا شرحتها من على المنصة سأنير الطريق وأحل الاشكال وسأقابل بتصفيق شديد ، ها أنذا أرفع يدى وأطلب الكلمة وأنتظر دورى ، ومنذ تلك اللحظة انقطع انتباهى ــ قليله وكثيره ــ لكلام الخطباء المتعاقبين ، أتمنى أن يلقوا كلماتهم خطفا وينزلوا ، حتى يأتى الدور على أنا سريعا ، أصبحت غير منشغل الا بفكرتى ، الا بنفسى فاذا بى وسط هذا الانشغال ورغم هذا الانشغال أتيقظ فجأة ــ مرة أخرى الى أن أحد الخطباء يقول نفس الفكرة التى جالت فى ذهنى ، أول أثر فى نفسى أننى أشعر بغيظ شديد ، ثم استثقل دم الخطيب ، لله فى لله وأكاد أتهمه بأنه سرق الفكرة منى وهى تجول فى ذهنى أو فى جو القاعة ، فأنا مؤمن بأن الأفكار تشتم من الرأس وتسبح فى الفضاء ويستطيع ذهن آخر أن يلتقطها ، وبعد الغيظ أنتقل الى التحسر ، على نفسى وسوء حظى ، ومع أننى أرى رأى العين أن الحاضرين لم يلقوا كل بالهم الى هذه الفكرة ومرت كأى كلمة أخرى ، هايفة أو غير هايفة ، دون أن تنير طريقا أو تحل اشكالا أو تقابل بالتصفيق ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع أننى أرى رأى العين أن الخطيب نزل مدلدل الأذنين ، يكاد الكسوف يعلوه مع هذا كله أظل أجتر غيظى وتحسرى لأن الكلمة ضاعت منى •

خلاصة التجربة : لا داعى للغيظ أو الحسرة اذا سبقك غيرك وعبر عن أفكارك ، احمد ربك أنه كفاك مؤونة الكلام •

التجربة الثانية : تحتل ذهنى فكرة ، أستطيع أن أعبر عنها تمام التعبير فى دقيقتين ، من ضمنها النحنحة الافتتاحية ، كلمة ورد غطاها ولكنى أرانى كأننى رب بيت يقدم لضيفه قطعة لحم من درهمين وبغير خضار أو سلطة ، اذن لابد من التعويض عن قلة اللحم بكثرة التحابيش ، لابد للكلمة التى سألقيها من مقدمة ــ أعلم أن لا لزوم لها ، تستغرق ربما عشرة دقائق ، وهكذا أتساوى ــ على الأقل ــ مع أشد الخطباء ايجازا ، ومع أن نيتى هى الاكرام فان جزائى يكون دائما قاسيا ، فما أكاد أفرغ من المقدمة حتى أحس أن انتباه الجميع قد انصرف عنى ، واذا بقطعة اللحم لم تؤكل ، بل ألقيت الى القطة تحت المائدة •

خلاصة التجربة : احترس من التحابيش أشد الاحتراس •

التجربة الثالثة : الخطيب متحمس جدا للمطالبة بسن قانون جديد أو تعديل قانون قديم مؤكدا أنه يدافع عن مصلحة عامة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجميع الحـاضرين يعلمون أن له فى طلبه هذا مصلحة ذاتية ، يطـالب بعقد دور ثان للامتحانات ويكتم ان له ابنا ساقطـا ، أو بالغاء حكم الطاعة ويكتم ان له بنتا ناشزة ، وهكذا • لست أنا وحدى ، بل جميع الأعضاء يستصغرونه فى سرهم ، ويهزأون به ، بل ربما غضبوا منه لأنه استخف بفراستهم ، أقل جزاء له عندهم تشاغلهم عنه ، وحتى اذا كان رأيهم من رأيـه فانهم ينتقمون منه برفض طلبه •

خلاصة التجربة : لا تتكلم فى مصلحه عامة سترا لمصلحة خاصـة ، والا ننعم أن تصارح الحاضرين بها ، فهـذا أكرم لك ولهم •

التجربة الرابعه : وهى أن التجـارب السابقة كلها • اذا سـألتنى هـل رأيت عفريتـا أقول لم أره لا فى خرابة ولا فى حفلة زار وانمـا أحسست به احساسا شـديدا فى كل مؤتمر أحضره لا فى أى مكان آخر ، فـاذا به يجول فى أحشـائى ولا يكف عن القفز كالقرد ، يعضعض حـكمتى بأسـنانه ويرفع ضغط دمى بقفزاتـه ويسـوقنى الى المواقف المخزيـة ، هـذا العفريت يتقمص شهوة عجيبة جدا ، قليل من يصـمد لها ، شهوة الكلام • كأن فريستها اذا لم يتكلم فقد معنى وجوده فى الدنيا وعد من الهمل الضائعين ، كلام أى كلام ، لمجرد الكلام ولو للدفـاع عن البديهيات ، فريسة هـذه الشهوةلا يستطيع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن يبلع ريقه الا اذا تكلم ، ولا يهد من جبروت هذه الشهوة تكرار البرهان كل مرة على أنها تنتهى دائما ببواخ وحبوط .

خلاصة التجربة : احترس من هذا العفريت كل الاحتراس ، واجتهد أن تصده عنك بكل قوتك .

(« انتعاون » ، العدد ٢٨٤ ، ١٩٦٨/٧/٢٨ ، ص ٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنـــارات ..

ما هـــو الموقف الـــذى يتخـــذه الشعب حيال العوارض التاليـــة ، عرفناها زمنا ، وربما عرفها ويعرفها كل شعب ، وان اختلفت الصور .

---

١ ــ رجل يعلن تمجيده للمثل العليا التى ترسمتها تعاليم دينه فى ظنه ، ويجهر بأنها فصل الخطاب والسر الأوحد للفلاح ، لا خلاص للأمة الا بالتمسك بها ، والسير على هداها ، يروج لعقيدته بالقلم ، وبالكلمة من فوق المنابر ، ويحث الناس على اتباعه ، وينعى أشـــد النعى على المخالفين له ، وربما سلقهم بألسنة حداد ، وأمعن فى تجريحهم والزراية بهم ، وأســـند اليهم سبب كل بلاء ، وهو غالبا يحصر جهاده فى معركة صغيرة فرعية ، تسيطر عليه كالفكرة الثابتة ، كأن لا خطر الا خطرها ولا هم له الا همها ، ولكنه ــ فيما يبدو ــ يراها حجر الزاوية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأشهى هذه المعارك الصغيرة الفرعية عنده تدور حول تبرج المرأة ، يرجع اليه فساد الزمان ، هنا يرتفع تألمه الى النحيب ، وتحسره الى لطم الخدود ، وكلامه الى قمة البلاغة • أو يختار معركة تدور حول مدارس المبشرين فيحمل عليها لأنهار ضارة بالأمة ، مقتلعة لجذور حضارتها ، هادمة لتقاليدها الصالحة ، ماحية لشخصيتها • ثم يغلو فيقول ان هذه المدارس تخطط لها مؤامرة خفية ، واسعة النطاق ، قديمة العهد ، فهى تبطن الشر وتدلس عليه بأنها انما تفعل للخير ، وربما شن المعركتين معا فى آن واحد ، لأنهما فرعان من أصل واحد ، وكأنهما أول شىء يسره أن يعلم الناس عنه ما يكتب ويقول غير مبال بعد ذلك بمصير رسالته كأنما فرض الجهاد عنده هو الاكتفاء بابراء الذمة ، ببذل النصح لأمته •

هذا دأبه ، فاذا عاد هذا الرجل من طوافه على الناس ودخل داره سأل أهله : هل عادت شوشو من « الساكر كور » ، وفيفى من « المير دى ديو » وتوتو من « سان فنسان دى بول »؟ وأقبلت عليه فتياته الثلاث مرتديات آخر تقاليع المودة الباريسية، فأخذهن بين أحضانه واعتز بحسن سمتهن ونصاحتهن ، ورق لهن قلبه ، ووجد فى رضا الأبناء عنه نشوة الأبوة • ثم قام عنهن ليكتب آخر مؤلفاته فى محاربة تبرج النساء ومدارس التبشير •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ــ رجل يجاهر بأنه يحب وطنه كل الحب ، لا يرضى له أن يجثم فوق أرضه وأنفاس أهله غاصب محتل ، وهذا الغاصب المحتل هو العدو الذى لا يرجى منه خير ، فكل الذى بعقله هو حتما شر ، ترى هــذا الرجل فى الصباح يكاد يتمزق من الحسرة والخجل لضياع الكرامة ومذلة الهوان ، ولكنك تراه فى المساء ، فى أحد الصالونات ، جالسا حول مائدة أنيقة مع نفر من رجــال هذا العدو ، يبادلهم الابتسامات والنكات وربما اعتز بأن بينه وبينهم صداقة وطيدة وأنهم يخصونه باحترام لا يقل عن احترامهم للقادة من بنى جلدتهم •

٣ ــ رجل يعلن أن مقاطعة بضائع العدو هى أقوى سلاح فى يد الأمــة ، ثم يكون قمــاش بدلته من صنع هــذا العدو ، وتفصيله عند ترزى من قوم هذا العدو ، وشبيه ببدلته قميصه وحذاؤه وسائر أدوات بيته •

ولا أزعم أن هؤلاء الرجال أشرار ، أو أنهم أمثلة لانحطاط البشر ، أو أن ذمتهم خربة ، وضمائرهم ملوثة ، أو أنهم خونة ، فمن الجائز أن يكونوا مع ذلك من أطيب الناس وأحسنهم خلقا • ولا أتهمهم بتعمد النفاق واستمرائه أو السعى بمسلكهم الى جر مغانم ذاتية ، فقد لا يكون شىء من هــذا قد خطر ببالهم •

هذه العوارض قد لا تكون لها عواقب بادية للعين أو سريعة التحقق ، هى نوع من السم البطىء الذى يغتال فضــائل الأمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقدرتها ، على خفاء ، ثم البلبلة ، سينصرف عن قضاياه ورؤية الحق بالانقسام الى طائفتين :

طائفة تجنح الى العذر واختيار الراحـة والأخذ بالأهون فتقول : المهم هو الرأى ولا شأن لنا بصاحب الرأى • ولعل هذا الأب واقع تحت ضغط ظروف لا قبل له بمقاومتها • ولعل هذا الوطنى يرى استخلاص الحق بالمسالمة اصبعا اصبعا ، والاستعانة بالعدو ــ وهو شر ــ لمحاربة عدو آخر أشر منه ، ولعل لابس البذلة والقميص والحذاء زبون قديم توثقت صلته منذ الصبا بمن يتعامل معهم ، فمن العسير على مروءته أن تتحلل من ولائها • ثم لمـاذا نسألهم أن يبدأوا هم بأنفسهم ، لمـاذا لا يبدأ غيرهم أولا الخ الخ الخ ••• هنا تنطق الانسانية بكل ما فيها من ضعف ومهادنة •

وطائفة أخرى تقول : لا فرق بين الرأى وصاحب الرأى ينبغى دائمـا أن يبدأ بنفسـه اذا أراد لغيره أن يتبعه أو حتى يصدقه • ولو أن هـذه الأنماط كانت من عامة الناس لمـا أنكرنا عليهم مسلكهم حتى ولو كان معيبا ، كل منهم وشأنه ، ولكنهم يتصـدون لقيادة الشعب ، وحينئذ لابد أن يكون حسابنا لهم عسيرا ، لا نقبل منهم أى عذر ، وليس لهم عندنا أقل تسامح ، نريد من هـذا الأب أن يربى بناته وفق دعوته حتى ولو وجد نفسه متهما بالتخلف والجمود ، ومن هـذا الوطنى أن يقابل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عداوة العدو بعداوة أشـــد ، يرفض أن يخالطه أو يصافحـــه ثم يقوى ويعمل على محاربته بكل سلاح ، ومن هذا الوفى لعهود الصبا أن يجد مروءته فى التحلل منها لا فى التمسك بها • أفضل عنده أن يســير فى الثوب الرث من صــنع بلده ، لا فى الثوب الأنيق من صنع عدوه •

كل أمة محتاجة أشد الحاجة الى أمثلة هى على النقيض من هذه العوارض ، أناس ولو قلة قليلة ــ يبرزون للشــعب وهم مستمسكون قولا وفعلا بالمثل العليا التى ينادون بها • حتى ولو استحقوا الاتهـــام بالهوس ، بالتعصب ، بالاســتغراق فى الأحلام ، فى الأوهـــام ، فى طلب المستحيل فى الانتحـــار ، هم المنارات التى ينبغى أن تقوم واذا قامت أن لا تنطفىء •

والآن أبحث من حولى عن هذه المنارات •

(« المعاون » ، العدد ٢٥٥ ، ١٩٦٨/١/٧ ، ص ١٠) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العـــلم والفهـــم

انتبه فجأة وهو يمشى بقدميه ، ويجرى بروحه وأعصابه ، يلهث دون أن يدرى ، سعيا وراء الرزق ، رغم أنه مضمون برحمة من ربه فانه خائف من فاقة يتوهم أنها ستحط عليه بلا انذار ، بلا ذنب ، خوف سرعان انقلابه الى خوف من الحيـــاة ذاتها ، يحس ببرودة هـــذا الخوف فى كفيـــه المرتعشـــتين ، وركبتيه المخلخلتين ، وفم معدته المنقبض ، ودقات قلبه المضطربة ، من الوقوع من قعر القفة ، من السقوط وسط الزحـــام فتدوســـه الأقـــدام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وشبيه بسعيه وراء الرزق سعيه وراء الأخبـــار ، ان أذنه تتطلبها لا مشيا بل جريا اليها ، تلهث هى الأخرى ، دون أن يدرى، ما هى الأخبار ؟ .. لا يكفيه هـــذا السؤال ، بل سؤاله هو : ما هى آخر الأخبار ، وآخر وآخر الأخبـــار يصبح عنده فورا قديما ؟ من جديد سؤاله : ما هى آخر الأخبار ؟ .. ولو سألته ما هو الخبر الذى تنتظره لمـــا عرف كيف يجيب ، ولو قلت له واذا جاءك هـــذا الخبر فمـــاذا هو فاعل بك ، وما أثره عليـــك لمـــا عرف أيضا كيف يحاورك .

انتبه فجأة الى يد خفية تستوقفه وصوت مجهول يهمس له : قف . تريث ، ابلع ريقك الملتهب ، اصح لنفسك ، تأهل ، فكر ، على رواقـــة ، افهم ، ان عقلك الموهـــوب لك لكى تستخدمه هو الذى الآن يستخدمك ، يركبك ويهز ساقيه على جنبيك ، يقودك بشطحاته الخيالية ، يخضعك لدورانه فى حلقة مفرغة ، بسبب تهيبه أو عجزه عن شق مسالك جديدة يعود دائمـــا الى مســـلك واحد ألفه وارتاح له وان أصابه التكرار بالعقم ، ان عقلك يشـــتغل لنفســـه كالزنبرك المفـــكوك طول الوقت ، ولا يشتغل لك دقيقة واحد ة ، منضبطا وفق ارادتك وتوجيهك ، وفى يدك لجامه ، قد تكون معلوماتك متلاحقـــة كثيرة جدا ولكنها تتكوم فى عقلك كأنها أثاث الساكن الجديد فى مسرحية يونيسكو ، يسد النوافذ ويحجب عنه الضـــوء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويكاد يخنقه ، عندنا أساتذة كثيرون ، حصيلتهم من المعلومات وفيرة جدا ، فى قنينة لو فتحت سدادتها لسالت مدرارا ، ولكن القليل منهم هم الفاهمون ، الذين استخلصوا درهم زبد من قنطار لبن ، ويضيف له الصوت قائلا : احذرك من تحصيل العلم اذا لم تعقبه محاولة للتفكير ، للفهم ، ان الذى وضع فقه كل الديانات هو غلبة العلم على الفهم •

وحين تستوقفه هذه اليد الخفية ويهمس له هذا الصوت المجهول يحس أنه قب من قعر بئر سحيق ، ورأى زرقة السماء لأول مرة ، وتنفس ملء رئتيه وشعر بسعادة كبيرة وفرح لا حد له ، وتبين له بشاعة حاله السابق وحماقته ، وأقسم أن لا يعود اليه • ولكن لا يدوم هذا كله الا كطرفة جفن ؛ سرعان ما يعود يجرى وهو يمشى ، ويسأل : ما هى آخر الأخبار ؟ •

أترانى رسمت لك صورة لفتى العصر أو بالأصح لداء العصر •

***

يتجه ذهنى الآن ــ فى هذه المرحلة الحاسمة ــ الى قادة الشعب المسئولين عن مصيره ، ان وظيفتهم الأولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرئيسية ليست تحصيل العلم ، ينبغى أن لا يغرقوا فى خضم المعلومات ، بل فى التفكير ، فى الفهم ، فى الرؤية الواضحة ، اننى أتمنى أن (أشنكل) كل سكرتير يحمل لهم أطنانا من الملفات والأوراق ، وأقول له اتركهم ليجلسوا فى راحة كل الوقت الذى يريدون ، للتفكير ، للفهم ، يشع من عيونهم نور كشاف يغمر الحاضر ويفترش المستقبل أن لا يهب أى ريح من المعلومات على أجهزة دقيقة فى عقولهم ، قياسها ووزنها وكيلها بحساب الشفرة .

(« التعاون » ، العدد ٤٠٢ ، ١٩٧٠/١١/١ ، ص ١٠) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مولود فى برج الثور

الطابور كالساقية ، بدل القواديس أجساد بشرية ، هنا الفحل المغمم لا يدور ، بل طالع نازل .. لا يكاد ينصب رأس الطابور فى المصعد حتى ينمو له ذيل . كأنما يخشى دائما أن تنكشف عورته . والمصعد يصاب فى كل وجبة بالتخمة . وتستأصل له زائدة دودية .

والطابور له تضاريس ، ووقف صاحبنا يراقب المرتفعات والمنخفضات أمامه وعادت لذهنه خطبة الحجاج الرهيبة : أرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رؤوسا قد أينعت وحان قطافها ، وأحس فى نفسه أنه قادر على قوة فظيعة ، قد تصل الى القتل ، فلم يدهش أو يخجل •

انه يقصد الدور الثامن ، ولكنه طلب الدور التاسع • يعلم من المرات السابقة أن المصعد لا يقف فى الدور الثامن • الأفضل لقدميه النزول من التاسع للثامن لا الصعود من السابع الى الثامن ، تفلسف وقال فى سره ، فى الحياة الهبوط أسهل دائما من الارتفاع •

فى الدور الثامن ادارة يتردد عليها جمهور غفير • فى الدور الأول ادارة للاحصاء ، لا شأن لها بالناس الا على الورق • قال فى سره : الحكومة مثلنا تكره العزال • وعاد لذهنه مثل يقول : عزال واحد يساوى حريقتين •

أدرك من المرات السابقة أن المصعد كان مخصصا فى الأصل للخدم • خرج الى براح اسمه المنور ولكنه مظلم جدا • لمع فى ذهنه تشبيه أولاد البلد لسواد الظلام بالكحل • كحل العيون السهتانة من فوق البرقع ! ولاد البلد بصبصاتية • يموتون فى الغزل • ابتسم فتجدد حبه لهم • ومشى على مصطبة السلم اللولبى • عن يمينه ويساره أكداس من ملفات ودفاتر تكاد تصبح عجينة واحدة يعلوها التراب • والأرض مغطاة بورق ممزق • بعضه مكور وبعضه مفرود • فمن الأيدى ما هى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عصبية .. وما هى مخروقة . هـل اتلهت الحـكومة بكنس الشوارع عن كنس بيتها ؟.

دخل الى عالم المتناقضات : زحمة شديدة وصفير الريح فى مكاتب عديدة . حجرات دواليبها خشب من عهد اسماعيل . تهدلت أشـداقها ، اذا عرضت على سـوق الكاتتو لخر مغشيا عليه . وحجرات دواليبها من الصلب آخر موديل ، وقلبها كقلب الشباب فارغ . موظف جالس على رواقه يولى ظهره لنافـذة تطل على أجمل منظر فى القاهرة ، وفراش محنى الرأس فى ركن يوش فى أذنيه وابور غاز فى مرحاض . هنـا البوفيـه . بعض المكاتب قهوة رجالى . بعض المكاتب حصة فسحة فى مدرسـة بنات . توتر شديد على الوجوه ، زهق شديد على الوجوه ، من شدة الزهق نسوا أن علاج الزهق الهرش فى الرؤوس . تأمل الأيدى فوجد بعضها قد استسلم بلذة للشلل ، وبعضها يعانى من هذيان العطش لرشفة ماء فيها النجـاة من الخوف . الخوف من شيء مجهول ، لايعرفون أى شيء هو ، ولكنـه يحطم أعصابهم . كل شيء يبوخ بالتعود الا هو .

كانت هـذه المرة العـاشرة ، أو المرة العشرين ـ أصبح لا يدرى التى جاء فيها على وعد أكيد بأنه سيتسلم الورق ، ورقه هو لا ورقهم هم . لو كان ورقهم هم لتنازل عنه ولو فتح له باب الجنة . ليس عنده مع الأسف نسخة أخرى من هـذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الورق • بذل كل جهـده فلم يفلح فى أن يبرأ من سذاجتـه وتصديق كلام الناس ومعاملتهم على أنهم أبناء ، لا عجب ، فهو مولود فى برج الثور لا الأسد محال عليه أن يقول : يا بخت المولود فى برج العقرب • هو زبون قديم ، عتيق ، مزمن ، ومع ذلك قابله رئيس المكتب كأنه زبون جديد : لبخ • اضطر لأن يروى له القصة لتاسع مرة ، أو لتاسع عشرة مرة • أصبح لا يدرى • وللرئيس نظرة اليه أحس معها أنه لوح رقيق من زجاج شفاف • فهى تعبره وتمضى لحـال سبيلها • شىء يغيظ أن يكون كل هذا الطول والعرض على فاشوش ، هذا احساسه مع أنه قزم • لم يكن يتوقع أن يكون فى نظرة الرئيس شىء من الدهشة • تمنى أن لو كان بها شىء حتى من التأفف • وصمت الرئيس لحظـة كأنه يجرى فى مخه عمليـة حسابيـة • عبرت ابتسامة خفيفة من شفتيه عن توفيقه فى حلهـا واهتدائـه الى الجواب الصحيح • ابتسامة من بنات السخرية وان كان ملؤها الاعجاب بالنفس • أمام الرئيس جرس ولكنه لم يضغط عليه بل نادى بأعلى صـوته ، كمن يلقى بحبل لا يعلم من سيلتقطه :

ـ ابراهيم أفندى هنا ؟

رد عليه صوت من بعيد :

ـ موجود • عاد اليوم من الأجازة المرضية •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خيبة الحساب هى الجرح الوحيد الذى تتململ له كرامته ، طأطأ رأسه ليعيد مخه الجمع والطرح ثم نادى بصوت أعلى كأنه يستحث همة ذكائه .

ـ واسماعيل أفندى هنا ؟

جاء الرد بصوت أعلى درجتين ، احتجاجا على الملاحقة والالحاح :

ـ موجود . رجع اليوم من المأمورية .

قدم الرئيس لا رأسه هى التى تهتز الآن تحت المكتب . تضرب الأرض ضربات خفيفة . ثم نادى بصوت كأنه زعقة سيحتضر بعدها كل أمل :

ـ وموسى أفندى هنا ؟

جاء الرد بصوت ممطوط كأنه يتغنى بالكلام :

ـ سافر أمس آخر النهار . جاءه أمر عاجل بانتدابه للسفر للاسكندرية . سيعود بعد أسبوع .

تهلل وجه الرئيس وقال من فوره لصاحبنا الواقف أمامه :

ـ ورقك عند موسى أفندى . تعال بعد أسبوع !

(« التعاون » ، العدد ٢٥٧ ، ١٩٦٨/١/٢١ ، ص ١٠) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزحلقـــة .. !

حين تشرفت لأول مرة ــ فى يوم من أيام سنة ١٩٢٧ ــ بالتمرغ فى تراب الميرى وجلست على كرسى خرزان هابط القش أمام مكتب (من درج واحـد) وأصبحت مع ذلك موظفـا قد الدنيا ، كنت غشيما ، أدركت أن كل ما تعلمته فى المدارس لن يغنينى عن ضرورة التزود سريعا بمهارات جديدة ، أهمهـا أن اكسب الحداقة فى فن الزحلقـة ، والا أصبحت بين زملائى فى المكتب « حمار شغل » واياك أن تظن أن اكتساب هـذه المهارة ســهل يسير ، فلكى تعرف كيف تتهرب من القوانين واللوائح والمنشورات وتزحلق عملك على غيرك ينبغى أن تكون ملما كل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الالمـام بهذه القوانين واللوائح والمنشـورات لا لنفعك ، بل نكاية فى غيرك ، وفوق الالمـام مكر شديد ، أفضله وأتمه حصانة أن يكون طبعا ، يكاد يكون موروثا ، لأن التطبع به عسير ، معرض دائما للثغرات المفاجئة .

وكانت الزحلقة على مستويين ، أفقى ورأسى ، أما الأفقى فمن نوعين : الأول بين الوزارات أو بين الادارات أو حتى بين المكاتب . مثاله تأشيرة وزارة الداخلية على طلب الترخيص بفتح دكان فول وطعمية « يحال على وزارة الصحة للاختصاص » ، وتأشيرة ادارة المستخدمين على شكوى موظف من تأخر صرف معاشه « يحال على ادارة الحسابات للاختصاص » . وغالبا ترجع الأوراق لمن زحلقها وعليها التأشيرة التالية « يعاد لعدم الاختصاص طبقا للقانون كيت وكيت أو المنشور كيت وكيت » .

الديوان منهمك ـ ظاهرا ـ فى عمل متصل مرهق ، ومع ذلك فعدد المسائل التى يبت فيها بدون زحلقة قليل ، هيش مهول ولكن على فاشـوش وماكنـة دائرة بسرعة مقعقعة ولكن على الفاضى .

أما النوع الثانى من الزحلقة الأفقيـة فبين موظفى المكتب الواحـد ، فى كل مكتب موظف معروف بأنه « حمـار شغل » لا لأنه غاوى شقا ، بل لأنه أخيبهم فى فن الزحلقة . الغريب أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جميع « حمير الشغل » فى الديوان ـ وربما فى الحكومة كلها ـ كانوا متقاربين فى الشبه ، وجها وخصـالا وان اختلفوا أجساما وأعمارا ، لابد أنهم يعانون جميعا من نقص فى افراز احدى الغدد المجهولة • ضع عشر دجاجات غريبة فى قفص ، بعد ساعات قليلة ستجد دجاجة تنقر الجميع وتأكل قبل الجميع • ودجاجة ينقرها الجميع وتأكل بعد الجميع •

فاذا جئنا للمستوى الرأسى فى فن الزحلقة وجدنا أنها كانت تسير فى خط واحد من فوق لتحت • الوزير يترك الهم لوكيل الوزارة ، ووكيل الوزارة يؤشر « للسكرتير العام » ، والسكرتير العام يؤشر « لمدير ادارة كذا بسرعة التنفيذ » ومدير الادارة يؤشر « لرئيس مكتب كذا للتنفيذ فورا طبقا للتعليمات » •• وينتهى الملف فوق رأس « حمار الشغل » فى مكتب صغير •

فكانت كلما علت الوظيفة قل شغل الموظف وزاد فراغه ، اللهفة على الترقيـة ليست لعـلاوة فى المرتب ، بل لمزيـد من الراحة ! مكتب الوزير لا يتصبب فيه عرق ولا تختنق الأنفاس بتراكم الملفات ، يأخذ العرق والاختناق فى الازدياد كلما نزلت الوظيفة درجة بعد درجة ، الوزير يحضر حينما يشاء وينصرف حينما يشاء ، الوكيل يحضر قبله بدقائق وينصرف بعده بدقائق وهكذا الى أن تأتى لطبقة صغار الموظفين فهم وحدهم المطالبون بالتوقيع على الساعة الرنانة فى الحضور والانصراف •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الوزير لا يربط نجاحه بسمعة كفاءته ، بل بمصير حزبه ، لم يكن الوزراء يأكلون أعصابهم من خشية الاخفاق ، يسودهم دائما جو من البحبحة ... همهم الأوحد هم سياسى .

أما الآن فانى ألحظ بشىء من الانزعاج أن الزحلقة الرأسية أصبحت تسير فى خط واحد : من تحت لفوق ، لا من فوق لتحت كما كان فى الماضى . موظف المكتب الصغير يؤشر « للسيد السكرتير العام للنظر » والسكرتير العام يؤشر « للسيد الوكيل لابداء الرأى » والسيد الوكيل يحمل الملف ويذهب يعرضه على السيد الوزير .. بعد أن كان الوزير هو أكثر الموظفين فراغا أصبح أشدهم ارهاقا ، ومما يزيد ارهاقه ربطه لسمعته بمدى نجاحه .

بعد أن كان العمل كالحجر ما يكاد يلقى على السطح حتى يغوص فى قاع البحر ، أصبح كالماء العميق لابد لنزحه من عمل متصل لطلمبة يدوية يتولى الوزير بنفسه تشغيلها لكى يتدفق الماء .

اننى أرثى والله لوزرائنا هذه الأيام ، انهم يعملون أحيانا أكثر من ١٦ ساعة فى اليوم الواحد على مدار الأسبوع فالشهر فالسنة ، فاذا قاموا بأجازة صغيرة أحسوا كأنهم يرتكبون ذنبا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وربما لم ترحمهم الصحف وقامت : الحكومة فى أجازة ، انهم يبذلون جهدا يفوق طاقة البشر ، وهم جواهر هذه الأمة ، وأمل الدولة ، فينبغى أن نحرص عليهم ، وينبغى لهم أيضا أن يحرصوا على أنفسهم ، قلبى ينعطف لهم وأنا أرى مكاتبهم مضاءة فى نصف الليل ... وأكون عائدا من مسرح أو سينما .

لابد اذن أن يتدفق العمل تلقائيا من تحت لفوق ، أن يعفى الوزير من تشغيل طلمبة اليد ، بأن يضع كل موظف فى مكانه ، اللائق به ، وتحدد اختصاصاته ، ويلقى عليه وحده قسط من المسئولية لا يراجع فيه أحدا ، يكافأ اذا أصاب ويعاقب اذا تكرر خطؤه .

من أجل حرصى على أعصاب المهندس صدقى سليمان رئيس الوزراء وزملائه أرجو وأشدد الرجاء أن يكون أول شىء يفعله هو وضع خطة يتدفق معها الماء تلقائيا ، من تحت لفوق ، حتى نعفيه من تشغيل طلمبة اليد بنفسه .

(« التعاون » ، العدد ١٨٧ ، ١٩٦٦/٩/١٨ ، ص ٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأســد .. والحمــل

كتبت الى صديق وأنا أهنئه باســناد منصب رفيع اليه ، يعمل تحت امرته مئات من الموظفين ، قائلا له أيضا : أتمنى أن يكون نفاذك الى العمل عن طريق الانسان العامل ، لاشك شعر بضيق كأننى صببت فوق رأسه معضلة أو لغزا ، ربما استسخفنى لأنه رآنى أتمشــدق بكلام فطرى بحت ، يحوم فى ســماوات الخيال ولا يهبط الى الأرض ، أو وصفنى بأننى رجل عواطفجى ، ومن كان هــذا شأنه أصبح عثرة فى طريق من نسميهم بالعمليين، أو خلخلــة فى الجــو بحيث يختلط فيه الصحيح بالزائف ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأساسى بالثانوى .. ضننت به أن أتصوره وقد وضع موظف عنده ملفا أمامه فوق مكتبه ، وظل واقفا كالصنم ينتظر ، فأرخى الى الورق من فوره ببصره وهو صامت ليقرأ ، ثم كتب ـ وهو ساكت ـ تأشيرته ، ثم طوى الملف ـ وهو مطرق ـ ومده الى يد الموظف ، أو ترك لهذه اليد ـ دلالة على الاستعلاء والهيبة ـ التكفل نيابة عنه بعبء طى الملف ومناولته ، استدار الموظف وخرج . لم ير منه الا مسافة ما بين القدم واليد ، كأن الموظف شبح مقطوع الرأس .. تمنيت عليه كما يرخى ببصره الى الورق يرفعه أيضا الى وجه هذا الموظف ، لا حاجة للكلام ـ سيستشف من هذا الوجه أى انسان هذا الواقف أمامه ، سيحس بمشاكله ومتاعبه ، من لون بشرته ، من دعكة جفنيه ، من هيئة ثيابه .. وماذا بعد ؟ لن يتأتى له أن يفض له مشاكله ومتاعبه أو يشفيه من عقدته النفسية لو عرفها بالتفصيل، ولكن مجرد التقاء نظرة صائدة ـ من فوق ـ لنظرة عائمة ـ من تحت ـ سيبدل الجو من برودة الجفاف والتقاطع الى دفء النضارة والتواصل ، انه جو لاشك أفضل لتقدم العمل وانجازه .

ومشكلة الدواوين كما خبرتها هى صعوبة الاهتداء الى رئيس وسط بين نمطين نقيضين ، كلاهما مغالاة الى الحد الأقصى ، نمط استنب الاعتقاد بأن العمل لا يصلح ولا ينتظم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الا به ، انه رئيس « حمش » ــ بكسر الحـاء والميم ــ مشهور بشخطه ونطره ، انه قاس لا يرحم ولا يقبل عذرا ، عضته والقبر سواء ، الله أعلم به فى بيته أو مع أصدقائه ، ولكنه فى الديوان غلس ثقيل الدم ، لسانه زفر ، لا يتورع عن اهانة الموظف اذا أخطـأ أو قصر ، لا يأذن لأحد من أعوانه بالجلوس فى حضرته ، كم دلقت هــذه العنجهية الفارغة أطنانا من المرارة فى قلوب الموظفين ، انه يريد من الموظفين أن يكونوا كالدمى ، لهم حركة ميكانيكية فى وصولهم فى الميعاد ولو تأخر هو ، فى التزامهم الجلوس أمام مكاتبهم بلا زوغان ، فى انصرافهم لا فى الميعاد بل بعد انصرافه هو مهما طال مكوثه .

وكانت شهادة الجدارة الوحيدة التى يحملها مثل هــذا الرئيس انه (ادارجى) ولا يهم بعد ذلك مقدار علمه أو كفاءته لشغل منصبه . (سمعنا عن نقل وكيل وزارة المواصلات لوزارة الزراعة لأن ديوانها بايظ) .. كل شىء على ما يرام ؛ فى النظرة العاجلة السطحية ، لكنك لو دققت لتقززت من شيوع النفاق فى هذا الديوان ، لأن الموظفين أصبح همهم قبل انجاز العمــل مداهنة هذا الرئيس ، ومع النفاق ذل ، فلا نفاق الا من ذليل ولا ذليل الا كان منافقا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والنقيض رئيس يقال عنه : « هـذا رجل طيب » والمعنى، هذا رجل ضعيف كالحمل ، انه يألف الطبطبة على الموظفين ، أوامره اليهم فى ضعة رجـاء • وأحيـانا يضيف : « علشـان خاطرى » يكتفى فى مناداته لهم بالاسم الأول ، لا لقب ولا رتبة من أفندى وبيه ، والعجيب أنه أشد الناس اخلاصا لعمله ، اذا لم يجد من يعينه حمل أكبر العبء وحده ، فلسفته أن هؤلاء الموظفين كأبنائه لابد أن يحنو عليهم ويحفظ لهم كرامتهم ، وهو مؤمن أنهم سيفهمون فلسفته وسيرتفعون الى مسـتواها فيكون انجازهم للعمل لا أداء لواجب فحسب بل تطييبا لخاطره أيضا وحياء منه •

أثبتت التجارب كلها أنه غارق فى الوهم وفاشل فشـلا ذريعا فى ادارته لديوانه ، ينطبق عليـه المثـل ـ حتى لو حضر هو ـ « غاب القط العب يا فار » • ولعل فشله هو الذى يرفع من نجم النمط الأول ، فلو قد نجح لتعرض هذا النجم لشىء من الأفول •

كأننى كنت أريد أن أتمنى على صديقى أن يجد لنا الحل الوسط • أن لا يكون لينا فيعصر ، ولا جامدا كالصخرة وسط بحر من ذل ونفاق •

(« التعاون » ، العدد ٤١٣ ، ١٩٧١/١/١٧ ، ص ٩)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صـــدفة ...

صدفة ولا ريب اجتماع هذه المواضيع فى عدد واحد من صحيفة « الأهـرام » من يوم الخميس المـاضى ، مكتوبـة باختصار شـديد ، وبخط دقيق ، لا تعلوها منشـتات بارزة ، وبعضها فى نهايات أعمدة ، فى الصفحات الداخلية ، التى تقفز عليها العين عادة ، بعد أن تكون قد تمقمقت فى تفلية الصفحـة الأولى المتضمنة أخبار الجبهة ، والمقاومة ، والموقف السياسى ، وغزو الفضاء ، فاذا بها مع ذلك تتعود الامساك بتلابيبى وأنـا أعبر بها لتستوقفنى وتجبرنى على قراءتها بامعان ، وأن أتأمل مغزاها طويلا ، ودلالتها ، لأنها من الأهميـة بمكان عظيم ، فلم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينطق لى شىء من قبل مثل نطقها ـ مجتمعـة ـ عن صـورة مجتمعنا الحديث وهو يجاهد جهاد « الميتامورفوز » ليتحول من خلقة التخلف الى خلقـة التقدم والرقى ، هى نموذج للمشاكل والصراعات التى يعانيها كل مجتمع يريد أن يتطور ، ينبغى تجاوزها بنجاح وبدون امهال ، واذا كان بعضها يثير القلق لصعوبة تعتعته فان بعضـها الآخر ـ لحسن الحظ ـ يبعث على الطمأنينـة والبشر •

الموضوع الأول هو نتائج الدراسـة التى أجراها الجهـاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، عن الذين تزيد أعمارهم عن عشر سنوات فى بلدنا ، يتبين منها أن نسبة الأمية فى الحضر تبلغ ٥٦ر٨٪ بين الذكور و ٧١ر٢٪ بين الاناث ، ومتوسط الأميـة فى الريف ٧٦ر٧٪ بين الذكور و ٨٨ر٩٪ بين الاناث •

أرقام مذهلة ، مؤلمـة ، تثير القلق ، اذ كنا نأمل أن تكون الأميـة قد انحسرت عن مجتمعنا بنسبة أفضـل ، بعد الجهود الكبيرة المبذولة لمحاربتها وكسر حدتها وغلوائها ، على الأقـل ان لم يكن للقضـاء عليها • هل تزايد السكان هو الذى يغتال كل جهد متتابع ؟ هل هناك أخطاء فى رسم المناهج أو تنفيذها ؟ ما أحوج هذه الدراسة التى اقتصرت على الاحصـاء أن تتبعها دراسة تجعل همها تفسير النتائج وتعليلها • من الذى يقوم بها ومتى ؟ أتمنى أن يوضع هـذا الاحصـاء بخط بارز كبير على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لافتة أمام أعين كل المسئولين عن محو الأمية والعاملين فى حقله ، بل أمام المثقفين ليكون بمثابة ناقوس يدق بالانذار ، ليكون بمثابة جمرة تلسع فتوقظ من الغفلة ، وتكسو الوجوه بحمرة الخجل ، لتكون مصب المسئولية التى ينبغى أن تلتف على جميع الأعناق .

الموضوع الثانى هو الدراسة الهامة التى قام بها الجهاز المركزى للتنظيم والادارة عن تشغيل المرأة فى بلدنا ، ومنطلق هذه الدراسة تقدم مذهل فى مجتمعنا ، وهو سيادة العقلية التى تعترف بحق المرأة فى التساوى والرجل فى العمل ، الاعتراف بما هو أبعد من ذلك ، أى بحق المرأة أن لا تكون أنوثتها غرامة عليها بأى حال من الأحوال ، لذلك فان هذه الدراسة لا توصى بتماثل الأجر بين المرأة والرجل فحسب بل أيضا بمنح المرأة العاملة أجازة وضع لمدة شهرين فى السنة بأجر كامل وبحد أقصى ثلاث مرات طوال مدة خدمتها (لتحديد النسل ، لتضع فى عينها حصوة ملح) وبأى يكون لها أيضا أجازات عارضة تزيد عن المصرح بها للرجل بخمسة أيام فى السنة .. ولكن الأهم من ذلك كله أن الدراسة توصى بأن يصبح من الجائز للمرأة المتزوجة أن تطلب القيام بنصف عمل نظير نصف أجر ، لتوفق بين وظيفتها وبيتها ، حيث عيالها ، وفى التوصية الأخيرة سخاء يبلغ حد التدليل ، فقضاء نصف الوقت فى الوظيفة مربك للعمل ولا ريب ، واذا كان تطبيق هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التوصية ممكنا فقد ينشأ سؤال آخر : هل تتحول عبارة « يجوز للمرأة المتزوجة أن تعمل نصف الوقت » الى « واجب عليها أن تعمل نصف الوقت » ، وتطبيق هذا المبدأ فورا على كل العاملات ان أردنا أن نسد باب البطالة بين الذكور المتكفلين باعالة أسرهم ... من أم أرمل وزوجة الخ .. الخ ، أوصت الدراسة أيضا بتعديل هيكل التعليم الحالى للمرأة بحيث تكون القاعدة فى الهيكل المقترح الثقافة النسوية ، أعترف أننى لم أفهم هذه التوصية ، فهى معارضة لمبدأ مساواة المرأة والرجل فى جميع الأعمال .هل المقصود بها قصر بعض الوظائف على الرجل وبعضها على النساء ؟ فأنت ترى أن عمل المرأة عندنا لايزال مسألة متعددة الجوانب ، يطغى بعضها على بعض ، هى فى حاجة الى تنسيق على أفضل الأوضاع ، الملائمة لنا ، وقد تركناها تنشأ وتنمو بغير قيد ، ولعلها أصبحت من الجسامة والتعقد متأبية الآن على التنظيم ، هى من أهم المشاكل وأبرزها فى سير المجتمع من التخلف الى الرقى .

الموضوع الثالث يبعث على الاطمئنان والبشر ، انه ريبورتاج (ربما منشور بأجر دفعته محافظة القليوبية) عن لقاء وزيرى الأوقاف والشباب بشبان الجامعات فى معسكر عملهم بمدينة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طوخ ، ويقوم هؤلاء الشـبان بتوسيع المدخل القبلى للمدينـة وطوله كيلو متران ، ونزول هؤلاء الشـبان تطوعا الى الخدمة العامة والعمل اليدوى ، والخلطة بين أبناء المدارس وأبناء الحقول ظاهرة صحية من مبتكرات المجتمعات الاشتراكية ، نرحب بهـا ونرجو لها مزيدا من النمو فى بلدنا .

(« التعاون » ، العدد ٣٣٨ ، ١٩٦٩/٨/١٠ ، ص ١٠ ، ٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هـــذه الكلمـــة ..

كنا نريد من كل بد أن نبحث عن مشجب نعلق عليه كل أسباب النكسة ، نخلع عليه جميع أوزارنا التى نثقل كاهلنا وتعذب ضميرنا ثم تتنفس الصعداء ، فى ذل ولكن فى راحـــة ، وجدناه فى كلمة واحدة هى : التكنولوجيا .. أصبحت هـــذه الكلمة شائعة على جميع الألسن ، لا تخلو منها مجلة أو صحيفة، أو حديث فى الراديو والتليفزيون ، رجـــالى وحريمى ، لم يعد فطاحل الكتاب يقولون « تقنية » أو « صنعة » وضعوا هذين اللفظين فى كيس ورموا به الى البحر ، فلا وقت للجدل اللغوى. وسادت كلمـــة « تكنولوجيا » لأن لها رنينا يوحى بأنهـــا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مستوردة ، بخطرها ، بارتباطها بعالم الأسرار المحجبة ، بالتحاقها بقمم العلم فى الحضـارة الحديثة ، انها قمم لا نزال ننظر اليها ونحن فى السهل ، كأنها بعيدة المنـال ، فهى تصلح لأن تكون أجمل عذر •

ولعل هذا الذيوع المفاجىء الذى اندلع كالحريق هو الذى يجعلنى أخشى أن يكون معنى هـذه الكلمة قد اختلط بالدخان فغمض على بعض الأبصـار ، فقد لحظت بشىء من الأسـف والتوجس ، أن هـذه الكلمة أصبحت فى بعض الأذهان لا تعنى الا كلمة « آلة » آلة معقدة جدا كالعقل الألكترونى ، أو مجموعة آلات ـ كأنمـا رسـمها بيكاسـو ـ موضـوعة فى السفينة « ليبرتى » •• و « ليبرتى » فى الانجليزية هى « الحريـة » فى العربية ، ما أقسى وأرذل السخرية فى هـذا الاسم • لا تعجب من بلاد تأتينا منها عربة ترام اسمها « اللذة » ، أن تطلع علينـا بسفينة حرب اسمها « الحرية » ، وهى عنوان صارخ على القهر وقتل جميع الحريات •

ويترتب على الظن بأننـا اذا ملكنـا هـذه الآلات ولو بالاستيراد ، فقد ملكنا التكنولوجيا ، تصور خاطىء لمعنى هذه الكلمة ، انه تصور مضلل فهو خطير ، فليست التكنولوجيا آلة أو مجموعة آلات ، بل هى قبل كل شىء « منهج » و « عقلية »، ستكون العبرة دائما لا بالآلة بل باليد التى تدير هذه الآلة ، الآلة هى نتاج انسان لا العكس •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلابد اذن أن تتغير العقلية ، أولا ، أن يكون هناك منهج متصف بالعقلية العلمية فى كل عمل من أعمالنا ، من أول توضيب طبخة اليوم ، الى ادارة معمل أبحاث ذرة موديل ١٩٦٧ •

من صميم التكنولوجيا أن يصل الموظف عندنا الى مكتبه ، فى موعده ، أن يلزمه الى أن تحين ساعة الانصراف ، أن يكون قد رتب أوراقه وملفاته من سابق ، فيجدها عند الطلب ، بل أن يكون قد برى قلمه الرصاص • أن يقبل على عمله كأن حياته متوقفة عليه وشرفه رهن به ، لا يتشاغل عنه باستقبال زائرين ــ كأن مكتبه قهوة ــ أو بالدردشة فى التليفون لأنه فوق البيعة بالمجان ، أن يسألك بلهجة جادة ليس فيها تودد كاذب أو تكبر فارغ عما تريد ، فتوحى لك لهجته بأنه لابد من الاختصار والوضوح ليكون رده كذلك مختصرا وواضحا محددا لا يتطوح كالسكران بين أكثر من احتمال •

!ننى لا أتكلم عن خيال بل عن تجربة ، فهذا هو الموظف الذى قابلته فى بلاد التكنولوجيا ، بل قابلته فى أية بائعة فى أبسط المتاجر ، لا فرق بين العجوز المتودكة والصبية المستجدة ، أخطف من يدها الربطة لأنى مستعجل ، وراض بها كما هى فتأبى أن تسلمها لى الا اذا لفتها بعناية ، وربطتها باحكام وجعلت لها أنشوطة أدخل فيها أصبعى لأحملها •• هذا هو الشغل شغل ، هذه هى عقلية التكنولوجيا •

(« التعاون » ، العدد ٢٣٠ ، ١٩٦٧/٧/١٦ ، ص ٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشـــكلة المشـــاكل

يحسن بنا ونحن نعالج كل يوم مشاكل اليوم (والزمن ولود) أو نحن نحاول من جديد معالجة مشاكل قديمة لها ضغط ظاهر لا ينقطع وأثر لا ينبهم لأنها لا تنفك تعترض حياة الناس ومعاملاتهم وتقابلهم وجها لوجه بصورة محددة المعالم (كمشكلة الروتين مثلا) يحسن بنا ونحن نفعل هـذا كله ـ وكان الله فى عوننا أن لا تنسينا هـذه المعالجة التى تستغرق الجهد والوقت أن نعنى كل يوم بالمشاكل الكامنة فى الأعمـاق والتى لا تجد ـ على خطرها ـ من حوادث اليوم ما ينبه اليها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذهنى مثلا مشكلة التعليم ، يخيل الى أنه حين أخذ سيل الطلبة يعلو ويتدفق من مرحلة الى مرحلة انحصر جهدنا وتفكيرنا فى معالجة هـذا التدفق الظاهر الملح بفتح المدارس والمزيد من المدارس ، عمل يشبه الاسراع فى فحت الآبار فى طريق طوفان ، لا نسأل أنفسنا أولا كيف ننتفع بماء البئر (لنترك هذا للمستقبل والزمن كفيل بايجـاد حل وفقا لظروفه حين يأتى) بل يكون أول همنا كيف نصب فى البئر أكبر قدر ممكن من المـاء حتى لا نغرق الأرض •• ومن غد نجد موجة جديدة تواجهنا فنسرع الى فحت آبار جديدة وهكذا دواليك ، لا عجب أن يأسن هـذا المـاء وتطفو الطحالب على سطحه ويفوق بلاء نزحـه بلاء جمعـه • بنينا المدارس والمزيد من المدارس وننهدنا وظننا أننا نجحنا فى معالجة المشـكلة وحمدنا الله ، ولكن نسينا وسـط الزحمـة والارهاق أن نسأل أولا : ما هو التعليم الذى ينبغى أن يلقن للطلبة داخل هذه المدارس • وان وجدت أنت أن كلمة « نسينا » هذه ظالمة وشديدة فأصالحك وأقول •• اننا لم نعن بهذه المسألة عنايتنا بفتح المدارس •

فهل من المعقول فى العصر الذى نعيش فيه أن لا ينصرف الجهد الأكبر لدراسـة برامج التعليم من أجل تطويرها • العالم كله من حولنا يتطور ، أمريـكا تعيد النظر فى برامج التعليم ، وعالمنا الصغير يتطوز ـ داخل الاطـار العالمى ـ على محورين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رئيسيين الأول : ادخال الصناعة فى بلدنا وهى التى تتيح اقامة حياتنا على أسس اشتراكية • والثانى ــ وهو الأهم ــ سفور الشخصية العربية وسعيها للمشاركة البناءة فى ركب الحضــارة بفضل مقوماتها الأخلاقية الأصيلة المستمدة من تاريخها وعقائدها ولغتها ومنحنى تفكيرها • وكل من هذين المحورين يتطلب برامج تعليم تطابقه أولا وتلاحق التطور العالمى ثانيا • ينبعث من قلبى دعاء الى وزيرى التربية والتعليم أن يجعلا من هــذه المسألة أهم عمل يشغلهما ، والشعب يهمه أن يعرف الجهاز الذى يتولى دراسة هذه المسألة وسير خطواته • انه كما يرى العرق المبذول من أجل فتح المدارس يهمه أن يرى العرق المبذول من أجل تطوير مناهج التعليم على أسس سليمة •

***

اخترت مشكلة التعليم ــ وأساسها سيل متدفق ــ لأنهــا تقودنا لحسن الحظ الى مشكلة المشاكل التى تعنينى هنا ، وتحتل تفكيرى ليل نهار ، أعنى مشكلة ازدحام مصر بسكانها ، ويخيل الى أننا تتغافلها أو يثور اهتمامنا بها لحظة ثم نيأس لصعوبتها وتفتر همتنا ، فحبذا لو درسناها على البارد وبغير حماس نتبط بعده •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هـذه المشكلة تكمن فى الواقع فى صميم كل مشـكلة أخرى نعانيها : رفع مستوى المعيشة ، نشر التعليم والخـدمات الصحية والاجتماعية ، التأمين والقضـاء على البطالة الخ ... الخ .

أعود مرة أخرى للتشبيه : الشعب يشبه الآن صبيا يفاجىء أهله بدخوله مرحـلة البلوغ . تفصـل له أمه بذلة على قده فلا يكاد يلبسها حتى تضيق به ، الكم لا يبلغ الا الى الكوع ، والبنطلون الا الى الركبة . فيخلعها ليلبس غيرها فلا تلبث أن تضيق عليه من جديد وهكذا دواليك . فكل الحلول التى نجدها للمشاكل الفرعية تصطدم بمشـكلة المشـاكل وهى ازدحـام السكان . فالمنطق يقضى بأن يوجه الاهتمام الأول لهذه المسألة .

لست اكتب بحثا علميا أناقش فيه نظرية مالتوس ، وهل هى صادقة أم غير صادقة . فأيا كان الجواب فان الحقائق أمامنا سافرة تكاد تلمسها اليد ، أرض محدودة ، تحيطها الصحراء من الجانبين ، موارد محدودة أو تنمو ببطء ، وشعب يتزايد عدده بسرعة مخيفة . المليون فدان أو أكثر التى ننتظرها من السـد العالى سيبتلعها السيل الطاغى اذا لم يقف ، وحتى لو قلنا ان العلم الحديث واكتشافات الذرة ستزرع لنا الصحراء ، وتمدنا بالمـاء العذب من البحر المـالح وتزيد من غلة الفدان وتفتح أبواب أعمال جديدة فأيهما أفضـل : أن يوزع هذا الخير كله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على عدد معقول من السكان أم يتبدد هو الآخر بين الملايين الهاجمة ؟

حين تترك الطبيعة لحالها نجدها تسعى بوسائلها الى ايجاد الحلول .

فلم يكن ارتفاع نسبة وفيات الأطفال فى الماضى راجعا وحده الى الفقر والجهل والمرض بل كان فى حقيقة الأمر بمثابة تدبير غريزى من الحياة للوصول الى الاعتدال ، أما الآن فنحن نتدخل بنشر الوقاية من الأمراض وتعميم الخدمات الاجتماعية ، بل نمضى الى أبعد من ذلك فنضيف علاوة على مرتب الموظف المعيل . أى نكافىء من يزيد المشكلة تعقيدا . لابد أن تتحول مسئولية ايجاد حل من غريزة الحياة الى عقل الانسان ، والطريق واضح أمامه قد رسمته له هذه الغريزة . ولا تظن أن هذه الغريزة قد اختفت ، انما الذى اختفى هو عملها وحده ، أما كلامها فباق . ان قلبى يشب وأذنى تطرطقان حين أسير فى الشوارع المزدحمة أو أركب فى أوتوبيس مزدحم كالسردين (وأنا لا أركب الا فى الدرجة الثانية) حين أسمع من عامة الشعب كلمات تخرج من أفواههم وهم لا يدركون معناها وانما تدل على أن الغريزة التى تحدثت عنها موجودة وهى التى تتكلم بلسانهم يقولون :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ان القيامة قربت ، الخلق فوق بعض ، يا ساتر استر ، الناس لازم تخف وكذلك أعتقد أن القوانين الاشتراكية لم تأت فى حقيقة الأمر مفاجأة لطبقة الأغنياء ، بل كان قلبهم يحدثهم بها منذ زمن غير قصير ، يعلمون أنها قادمة وان رفضوا تصديق همس قلوبهم • أتدرى لماذا كانوا يعلمون بقدوم هذه القوانين ؟ لا لأنها علامة الزمن ، بل بسبب احساسهم الغامض باختناق الوادى بسكانه • عرفت واحدا من هؤلاء الأغنياء ، ودهشت حين رأيته قد أصيب بمرض غريب لا أظنه موصوفا فى كتب الطب ، ليس هو الربو أو ضيق التنفس ، بل هو شىء يشبه الاختناق ، والشعور بثقل هائل يضغط على الصدر • كان لا يخرج معى الى الطريق الا اضطربت أعصابه واصفر وجهه وارتعشت يده وزاغ بصره ، وكاد يبلغ حد الهياج وهو يقول : « الناس بتاكل بعضها بعضا » •

كان كأنما يحس بأصابع خفية تمتد الى جيوبه ، وبأيد تخطف ملابسه لتبقيه عاريا ، وأطنان من اللحم البشرى تجثم على عزبته وأفواه نهمة تأكل نباتها كالجراد • أصبحت نظرته لكل انسان ليس من أبنائه نظرته الى لص أو نشال أو سفاك يخفى السكين وراء ظهره • لم يكن سفر هؤلاء الأغنياء للخارج الا طلبا للنجاة ولو لفترة من هذا الاختناق داخل بلادهم •

فأنت ترى أن الغريزة لاتزال تتحدث الينا حديثا واضحا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا لبس فيه . ان مشكلة المشاكل عندنا هى ازدحام السكان . ينبغى أن تحتل المكانة الأولى من تفكيرنا واهتمامنا . وأتمنى أن أغمض عينى وأفتحها فأجد :

١ ــ المعهد القومى للبحوث بعد أن أصدر أول تقرير له عن تعاطى الحشيش يقوم بدراسة دقيقة واعية عن ظاهرة تمدد النسل فى أى الطبقات تزداد ؛ (فقد يظهر أن الطبقة الوسطى فى المدن لا تقل نسلا عن طبقة الفلاحين) وعلاقة هذه الظاهرة بعمل الأب ، وكذلك بتعدد الزوجات (فقد يتبين أن وفرة النسل من زوجة واحدة لا يقل عن وفرته من زوجات متعددات) . نحن نحتاج الى معرفة كل هذه التفاصيل ، الى دعمها باحصائيات دقيقة .

٢ ــ ان يتعلم كل تلميذ وتلميذة (فى كل مرحلة حسب طاقتها) أن الشعوب المتمدنة هى التى ترفض أن تعيش كالحيوان وتعرف ضبط النسل ، مع التنبيه على خطر هبوط مستوى المعيشة عندنا .

٣ ــ أن تضيف الصحف الى باب السخرية برفيعه هانم وغنى الحرب وابن الذوات الخ ... الخ . بابا أهم هو السخرية والهزء برجل يسير مع زوج حامل ويجر وراءه زربة من العيال مهلهلة الثياب ، أحذية بالية وجوارب مخروقة ، وسحن صفر من أثر سوء التغذية والأمراض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ــ أن تتولى جميع الهيئات والجمعيــات التى لها صلة بالشعب (حتى الجمعيات التعاونية) تنبيه قاصديها من النــاس الى ضرورة ضبط النسل ، يدور عنه كلام فى كل جلســة وكل اجتمــاع .

٥ ــ تيسير وسائل الهجرة بالدفاع عن نصيبنا فى الحصص التى تفرضها بعض الدول وتوثيق روابطنا الثقافية والاقتصادية بالدول النامية فى افريقيا حتى تنشأ فى ظلها ألفة تساعد على توطن المصرى بها واذا اعتنق جنسيتها فلا نمانع أو نغضب ، بل أذهب الى حد المطالبة بأن تدفع الحكومة لهؤلاء المهاجرين نفقات سفرهم واعانة تساعدهم على التوطن الجديد .

٦ ــ فاذا بدأ وعى الشعب يستيقظ فلا بأس أن ننتقل لمرحلة ثانية وهى تعليم وسائل ضبط النسل فى كافة المدارس ، ونشرها بكافة الطرق بين طبقات الشعب اذ أن الحياء العــام لن يأنف حينئذ من هذا الكلام كما يأنف اليوم .

(« المســاء » ، ١٩٦١/١٠/٣٠ ، ص ٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضبط النسل بالكهرباء

اياك أن تظن أننى اخترعت لضبط النسل جهـازا كهربائيا يئز بالأزرار ويمشى على كل فولت ، ومضيت أصرخ لطوب الأرض ــ كما يفعل كل المخترعين الهواة عندنا من أن وزارة الصناعة رفضت تسجيله ومنحى براءة الاختراع ، وأن وزارة الصحة استهزأت بهذا الجهاز التحفة ، وأبت حتى تجربته مرة واحدة ، وأعادته الى عاريا وكان قد ذهب اليها مكسوا بأكثر من ثوب ، من الورق والسلوفان والقماش ، أو أننى اكتشفت ــ بعد التجربة أو فى الحـلم ــ أن الصـدمة الكهربائيـة وهى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تشفى من الخبل تشفى أيضا من الحب .. أليس الحب نوعا من الجنون ؟

لا .. لم أجىء لك بذئب دحلاب من ذيله ، المسألة فى غاية البساطة ، ولأنها كذلك لم ينتبه لها أحد من قبل . الكهرباء التى أشير اليها ما هى الا لمبة الكهرباء المبذولة للناس بسعر رخيص والسر الباتع فى العلاج بها هو نورها . فهى اذا أضاءت طردت الظلام ، وطردت الجن والعفاريت الزرق ، وطردت الوسواس الخناس ، طردت كل دادة لهذا الصبى الدلوعة الذى اسمه الحب ، فهو أبدا متعلق بأذيالها ، لأنه ينام أو يتخمد عادة بالنهار ، فاذا أقبل الليل انفلت عياره واشتط فى عبثه . هو أيضا سيولى الأدبار اذا عم الضوء ، مخليا الميدان للرزانة والتعقل وشجب الفجعنة وفراغة العين . ستعجب ولا تصدقنى وستقول لى وما هو برهانك . اذن استمع لهذا الخبر الذى نقلته لنا الصحف أخيرا عن أمريكا .

***

لم يكن فى اليوم شىء يدل على أنه مختلف عن بقية الأيام ، حركة الشوارع هى هى لم تتغير ، عدد السائرين والسائرات فرادى أو والذراع فى الذراع ليس فيه زيادة أو نقصان تلحظهما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العين ، والكمية المداوقة على الوجوه من الود والفتور ، ومن الانبساط والانطواء مطابقة لمعدلها المألوف ، توقع الأطباء والممرضات وبقية موظفى مستشفيات الولادة أن عملهم فى ذلك اليوم سيكون ولا ريب بمقدار عملهم بالأمس ، وأول من أمس ، ومن غد ، فمنذ التحاقهم بالمستشفى وحالات الولادة لا يتراوح عددها الا بنسبة ضئيلة .

وفجأة تبين لهم لشدة دهشتهم وبدون سابق انذار أن اليوم ليس كغيره من الأيام ، دقت جميع الأجراس فى المستشفى، أرسلت اشارات الاستغاثة للجميع ، أعادوا المسافرين من أجازتهم . انها التعبئة العامة ، فقد تدفق على المستشفى فى ذلك اليوم أضعاف أضعاف ما كان يتلقاه كل يوم من البطون التى تطلب الفرج .

وكان هذا أيضا هو حال بقية مستشفيات الولادة . كأن السماء تمطر مخاضا .. ما السبب ؟ ما الذى جرى ؟ ما الذى حدث فى الدنيا ؟ .. أهى ظاهرة كونية مجهولة السبب كاختيار الشهب لليلة من وسط الليالى لتتساقط بكثرة ؟ هل هى غزو مفاجىء من عالم الهرمونات يسبق غزو الكواكب للأرض ؟ ما الذى أفلت عيار الساعة المضبوطة فلف عقرب الساعات مائة لفةفى دقيقة واحدة ؟ هل نكتشف لأول مرة وباء جديدا نسميه وباء الولادة ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انهمك الجميع فى العناية بسيل الأمهات ، لا وقت للبحث عن اجابة لهذا السؤال العويص .. الا طبيب شاب يتمتع ولا ريب بذكاء شيطانى ينفذ الى ما تحت تحت ، ماهر فى لعبة البيس بول، فيده تتلقف الكرة الطائرة كأنما تصب فيها عن عمد وبعد نشان تلقف ذكاؤه السبب الطائر فى جو المستشفى . انتبه وضرب جبينه بكفه وقال لمن حوله : فى أى يوم من السنة نحن ؟ فلما أجابوه عاد يسألهم : ومتى انقطعت الكهرباء عندنا بالنهار وطيلة الليل ؟ أجهدوا ذاكرتهم حتى اهتدوا بالاجماع الى الجواب الصحيح .. فقال لهم الطبيب الذكى : احسبوا الحسبة .. ستجدون الفرق الزمنى بين انقطاع الكهرباء وتدفق سيل الأمهات هو تسعة أشهر بالتمام والكمال ، لا تزيد يوما ولا تنقص يوما ، ان هذا السيل المتدفق من الأمهات هو من جراير ليلة واحدة ساد فيها الظلام فى البيوت .

***

وبيوت الفلاحين عندنا ــ ان سميتها بيوتا ــ يسودها الظلام ليلة بعد ليلة ، لا ليلة واحدة خلال العام كما حدث فى أمريكا ، ان بنى آدم فى الظلام أشباه لا فرق بين أمريكى ومصرى . بعد تناول طعام العشاء ــ ان سميته طعاما ــ تقول الفتيلة نفسها من شدة الهزال والزهق : حان وقت النوم ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ارحمونى بنفخة من فم ولو كانت رائحته بصلا ، يسود الظلام ويرقد الفلاح بجانب زوجته ، (فوق الفرن فى فصل الشتاء) .

ومع الظـلام انطلقت الجـن والعفاريت الزرق ونطـق الوسواس الخناس . ليس للزوج شغلة أو مشغلة . ستكون خير وسيلة لقتل الوقت ، وخير نزهة للبدن والخيال ملاطفته لزوجته وان كان لها بالنهار مجافيا ، وان كان قد شبع منها كل الشبع ، وان كان التعب قد هد حيله ، وان كان يتمنى أن ترقد بجانبه فتاة بكر فى عز الشباب مثل البنت خضرة أو البنت نعسانة . وبعد تسعة أشهر بالتمام والكمال يرزق الأب بالابن العاشر أو الثانى عشر ، كألقاب ملوك فرنسا فى القديم !

***

ان أعجب وثيقة قرأتها عن تاريخ مصر الحديث هى نص فرمان عال أصدره الخديو سـعيد باستدعاء بعض الضـباط المصريين الى الخدمة بعد تسريحهم . كان ظنهم أنهم استراحوا منه ، ولكنهم هم الذين زنوا على خراب عشهم . يقول هـذا الفرمان العالى ما معناه (فنصه ليس تحت يدى الآن) :

علمنا أن هؤلاء الضباط قد التحقوا بأسرهم فى قراهم ، وبلغنا أنهم أوشكوا أن يفقدوا مسكة العقل ونور البصر من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذرهم بملاطفة زوجاتهم ليلة بعد ليلة ، فاقتضت ارادتنا السنية رحمة بهم واشفاقا عليهم أن ننقذهم من الهلاك فأمرنا باستدعائهم للخدمة من جديد .

أنا واثق أن هؤلاء الضباط لو سكنوا المدن لما استدعاهم الخديو سعيد ، وشدهم من آذانهم شده لأذن صبى شقى .

وواثق أيضا — اذا عدنا لليوم — أننا سننجح فى ضبط النسل بتعميم الانارة بالكهرباء فى بيوت الفلاحين ، فاذا غمر الضوء البيت راق للفلاح أن يسمر مع أهله أو مع جيرانه أمام العتبة اذا كان ممن لا يذهبون للمقهى ، وربما وجد من نفسه همة لانجاز بعض الأعمال التى تخلفت عن النهار ، كالقيام بحسبة القطن ولو فى ذهنه ، أو اصلاح فأسه ورتق جلبابه وزرع لوزة فى نعله ، أو احكام تفلية بدنه وثوبه وفراشه .

بل قل — من باب التمنى — سيتاح له أيضا أن يتأمل ما حوله ، ويفكر ، ويسأل أسئلة نتنظرها منه منذ الأزل ، يظل يسمر ويعمل ويفكر الى أن يهده النوم فينخمد جانب زوجته ، ان لم تكن الليلة مفترجة فى حسابه فهى ولا ريب مفترجة للشعب المصرى !

بل أمضى فأقول : ان ضبط النسل بالكهرباء سينجح نجاحا أكيدا اذا أعطينا لكل بيت — هبة لا بالبيع — جهاز راديو ، وجهاز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تليفزيون . لابد أن نخلق للفلاح تسلية تكون هى شغله ومشغلته ونزهة خياله ، فى بيته . اننى واثق من أن تكاليف هـذا البرنامج أقل من تكاليف أى برنامج آخر نعده لضبط النسل .

لا تندهش اذا قلت لك اننى أتوقع أن تكون أجل بركات كهرباء السد علينا هى تأثيرها الفعال فى ضبط النسل .

***

ورغم الكلام الذى قلته أحب أن أعترف لك بأننى حين قرأت خبر وباء الولادة فى زعيمة الحلف الأطلسى شعرت بشىء من الخجل لاخواننا الأمريكان ، لو كنت منهم لمـا راق لى نشر هذا الخبر عنى ، فهو يدل على أن العلاقـات الزوجيـة مفككة أشد التفكك . قد أرهقها الملل . وأن منظر الزوجة فى النور مقترن بطلب أجازة منها ، أو التأجيل لموعد مفتوح تختاره نزوات أو كؤوس ، كان لابد أن يسود الظلام فلا يجد الزوج له شغلة أو مشغلة الا ملاطفة زوجتـه دون أن يراها .. هـذا العنـاق العميانى يكاد يكون اضطرارا ، لا تبرعا أو منحة من القلب .. حقا أنهم وحدهم هم الذين خرجوا على المثل البلدى الشائع : « هوا أنا يا أخى عاشقك فى الضلمة » !

.. (« المساء » ، ١٩٦٦/٨/٢٢ ، ص ٦) .